

الْوَابِلُ الصَّيْبُ

مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ

تأليف

الامام شمس الدين محمد بن ابي بكر

بن قيس الجوزي

(٦٩١ - ٧٥١)

دراسة وتحقيق

محمد عبد الرحمن عوض

الناشر

دار البيان للتراث

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة
لدار الريان للتراث

يطلب من

دار الريان للتراث

القاهرة : ١٧٧ شارع الهرم / ت : ٥٣٦٥٩٩
معرض رقم ٨ بجراج الأوبرا / ٤٣ أ شارع رمسيس
مصر الجديدة : ٢٢ شارع الأندلس - خلف الميريلاند / ت : ٢٥٨٢٠١٤
الاسكندرية : سيدى بشر - طريق الكورنيش - برج رامادا - الدور الأول

الْوَابِلُ الصَّيْبُ

مِنْ كَلِمَةِ الطَّيِّبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية

العلامة الكبير المجتهد المطلق المصنف المشهور: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي.

ولد سنة ٦٩١ هـ = ١٢٩١ م، وسمع من ابن تيمية ودرس بالصدرية، وأم بالجوزية. واخذ الفرائض عن أبيه وأخذ الأصول عن الصفي الهندي وابن تيمية.

وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، واشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف.

كان متقيداً بالأدلة الصحيحة معجبا بالعمل بها غير معول على الرأي صادعاً بالحق لا يجابي فيه أحداً...

قال ابن كثير: كان ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد... لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جداً ويمدركوعها وسجودها...

وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه بذكر الله تعالى حتى يتعالى النهار ويقول هذه غدوتي لو لم أفعالها سقطت قواي وكان يقول: بالصبر والتيسير تنال الإمامة في الدين. وكان يقول لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه.

وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة، وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحب القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب.

وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثه أعظم جنة.

وكان إلى هذا مغرمًا بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلًا سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم وقد ألف الكثير من الكتب منها (اعلام الموقعين - وجلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ومصايد الشيطان ومفتاح دار السعادة، والروح، وحادي الأرواح، والوابل الصيب من الكلم الطيب. وهو الكتاب الذي تقدمه للقارئ اليوم وقد حرصت على

- تحقيق نص الكتاب.
- وضع العناوين التي تعين القارئ.
- التعليق على الكتاب بما يوضح الغامض ويشرحه لغة وفكرًا.

والكتاب على ذلك جليل النفع... ذو قيمة علمية عالية... فهو المرشد للطالين، وفتح الطريق للسالكين كي يعبدوا الله على علم ويذكروه بما يجب، ويتجنبوا الوقوع فيما يكره...

إنه كتاب يعتمد على أساسين هامين:

الأول: العقل: حيث ذكر الفوائد... وقسم الأقسام مما يستريح له عقل القارئ.

الثاني: النقل: إذ جعل نبراسه آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ.

ولهذا فإننا إذ نقدم هذا الزاد العظيم للقارئ المؤمن نسأل الله تعالى أن

ينفعنا به وأن يجعله في ميزان حسناتنا . . . وميزان مصنفه رضي الله عنه .

هذا وكانت وفاة المصنف رضي الله عنه في ثالث شهر رجب سنة ٧٥١ هـ =

١٣٥٠ م . . . رحمه الله جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين .

والحمد لله رب العالمين

كتبه

محمد عبدالرحمن عوض



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

العالم الإمام ابن قيم الجوزية... عالم مجتهد قدم للمكتبة الإسلامية الكثير والكثير...

ونحن اليوم نقدم له كتابه الرائع ..

« الوابل الصيب من الكلم الطيب ».

وفيه الغناء للقارىء عن كتب كثيرة.. من كتب الأذكار فهو لا يكتفي بذكر الأدعية للصباح والمساء، ولكنه يقدم التحليل العلمي والشرح الفقهي لأهمية الذكر وفوائده... حتى ساق عشرات الفوائد للذكر مما لا يوجد نظيره في كتاب. ودار الكتاب العربي وهي تقدم هذا الجهد للقارىء.. تعد قارئها أن تكون دائماً عند حسن ظنه.

الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . الله سبحانه وتعالى المسؤول
المرجوّ الاجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة ، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا أذنب
استغفر . فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد ، وعلامة فلاحه في دنياه
وأخراه ، ولا ينفكّ عبد عنها أبدا . فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق
الثلاث .

الأول : نعم من الله تعالى تترادف عليه ، فقيدها (الشكر) . وهو مبني
على ثلاثة أركان : الاعتراف بها باطنا ، والتحدث بها ظاهرا ، وتصريفها في
مرضاة وليها ومسديها ومعطيها . فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في
شكرها .

الثاني : محن من الله تعالى يبتليه بها ، ففرضه فيها (الصبر) والتسلي . والصبر
حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس
الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب وترف الشعر ونحوه . فمدار الصبر على
هذه الأركان الثلاثة ، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة ،
واستحالت البلية عطية ، وصار المكروه محبوبا . فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله
ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فإن لله تعالى على العبد عبودية

الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون. والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسنة التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية. هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه اليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين. فمن كان عبداً لله في الخاليتين قائماً بحقه في المكروه والمحجوب فذلك الذي تناوله قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾^(١)؟ وفي القراءة الأخرى ﴿عبادة﴾ وهما سواء لأن المفرد مضاف فينعم عموم الجمع، فالكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة^(٢)، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان، قال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٣). ولما علم عدو الله إبليس أن الله تعالى لا يسلم عباده إليه ولا يسلطه عليهم قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾^(٥). فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عباده المؤمنين، فإنهم في حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه، وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل فهذا لا بد منه، لأن العبد قد بلي بالغفلة

(١) الزمر (٣٦) والاستفهام للتقرير والتوكيد، والباء في قوله « بكاف » زائدة للتوكيد.

(٢) أي الكفاية الناقصة مع العبودية الناقصة. فإذا خرج العبد عن تمام العبودية لله تعالى فإنه يخرج نفسه من دائرة اللطف والرحمة بمقدار خروجه عن العبودية، قال تعالى « نسوا الله فأنساهم أنفسهم.. » أي ابتعدوا عن الله فنسوا حق أنفسهم وحرموها وقال سبحانه « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ».

(٣) سورة الحجر : ٤٢ .

(٤) سورة ص : ٨٢ .

(٥) سورة سبأ : ٢٠ .

والشهوة والغضب ، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ولو احتزر العبد ما احتزر ، فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب .

وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق وأرجحهم عقلا وأثبتهم ، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه ، فما الظن بفراشة الحلم^(١) ومن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غيلة على غرة وغفلة ، فيوقعه ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها ، وأن تلك الوقعة قد اجتاحتها وأهلكته ، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله .

فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح له من أبواب ﴿ التوبة ﴾ والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به رحمته ، حتى يقول عدو الله : يا ليتني تركته ولم أوقعه .

وهذا معنى قول بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار . قالوا : كيف ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له ، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة .

ويفعل الحسنة فلا يزال يمين بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت ، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه . فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده ، وإن أراد به غير ذلك خلاه

(١) فراشة الحلم : أي أن حلمه بالنسبة إلى آدم حتى فإن الفراشة أشد شيئا حقا إذ ترمي نفسها على النار دون أن تدري العاقبة .

وعجبه وكبره ، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه .

فإن العارفين كلهم مجتمعون على أن التوفيق أن لا يكللك الله تعالى إلى نفسك ، والخذلان أن يكللك الله تعالى إلى نفسك^(١) . فمن أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار ، ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه ، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحده . فالعارف سائر إلى الله تعالى بين هذين الجناحين ، لا يمكنه أن يسير إلا بهما ، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه .

قال شيخ الاسلام^(٣) : العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة^(٤) ومطالعة عيب النفس والعمل . وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح من حديث بريدة رضي الله تعالى عنه « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »^(٥) فجمع في قوله ﷺ « أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي » مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والاحسان ،

(١) فيتركك إلى نفسك وأنت لا تعرف ما يصلح فتخط في الحياة خبط عشواء تصنع حسبا يمليه عليك هواك وأنت لا تدري أيصلحك ما تفعل أم يضرك . . وغالبا ما يضرك إلا أن يتداركك الله بلطفه ورحمته قال تعالى « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا ويعفون عن كثير . . »

(٢) الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه سبحانه وتعالى .

(٣) الامام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه والجناحان هما شهود عيوب النفس وشهود فضل الرب وجوده .

(٤) يقصد النعمة التي امتن الله بها عليه .

(٥) الحديث رواه الامام أحمد والبخاري والنسائي .

وقوله : أبوء لك : أي أرجع إليك والمراد - والله أعلم - أن المؤمن يرجع دائماً إلى ربه معترف بفضلله ذاكرا لنعمه تعالى ، مقراً بالتقصير في حقه سبحانه . . وهذا دافع من دوافع الجحد والعمل المستمر ، فإحساس المؤمن بعظمة النعمة ، وإدراكه للتقصير من حق ربه يجعلان من حضور قلبي دائم بين يدي الله . كما يدفعانه أيضاً إلى التلذذ بالإحساس بالعبودية له سبحانه وتعالى . .

ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت ، وأن لا يرى نفسه إلا مفلسا ، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ولا سببا يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها ، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف ، والإفلاس المحض ، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه^(١) فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته ، وشهد ضرورته^(٢) إلى ربه عز وجل ، وكمال فاقته وفقره إليه ، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة ، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى ، وأنه إن تخلى عنه طرفه عين هلك وخسر خسارة لا تجبر ، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته .

ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية ، ولا حجاب أغلظ من الدعوى^(٣) . والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها : حب كامل ، وذل تام . ومنشأ هذين الأصلين عن ذنك الأصلي المتقدمين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام ، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه^(٤) به إلا على غرة^(٥) وغيلة ، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويحيره ويتداركه برحمته^(٦) .

استقامة القلب

(فصل) وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجواره . فاستقامة القلب بشيئين : (أحدهما) أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب ،

(١) أعماق قلبه .

(٢) أي اضطرابه وحاجته لله تعالى .

(٣) أي الغرور بالنفس والادعاء فهذا سيئد الانسان عن ربه .

(٤) يقصد الشيطان .

(٥) غفلة .

(٦) قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » أي انهم

يسرعون العودة إلى الله تعالى ..

فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه ،
فرتب على ذلك مقتضاه .

ما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل ، فعند الامتحان ، يكرم المرء
أو يهان . وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه
وأهله على ما يحبه الله تعالى^(١) . فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع
المحباب ، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها ، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه
أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئا منها إلا بنكد وبنغيص ، جزاء
له على إثثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى .

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئا سواه عذب
به ولا بد^(٢) ، وأن من خاف غيره سلط عليه ، وأن من اشتغل بشيء غيره كان
شؤما عليه ، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه ، ومن أرضى غيره بسخطه
أسخطه عليه ولا بد^(٣) . (الأمر الثاني) الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر
والنهي ، وهو ناشيء عن تعظيم الأمر الناهي ، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم
أمره ونبيه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾^(٤) قالوا في
تفسيرها : ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة . ما أحسن ما قال شيخ الاسلام
في تعظيم الامر والنهي : هو أن لا يعارضا بترخص جاف^(٥) ، ولا يعرضاً

(١) قيل إن طالبا قال لشيخه : بماذا تأمرني ؟ فقال له الشيخ : يا بني أخشى أن أمرك فتطيعني بعد
أن أمرك الله فعصيته ، فيكون عملك الخير تعظيماً لأمرى ، وليس امتثالاً لأمر الله تعالى .

وعلى هذا المنوال نرى بعض المريدين الذين يأخذون العهد على بعض المشايخ على الطريقة ..
وتصير مثل هذه الجهود مدعاة إلى بدع وضلالاته كثيرة نسأل الله العافية .

(٢) وتأمل قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً .. والظنك ضيق في النفس
أقرب إلى العذاب النفس .

(٣) فقد تعلق المحتاج بمحتاج مثله .. فعجز الأول عن مكافأة الثاني لأنه مشغول بإشباع مطالب نفسه
فكيف يتفرغ لغيره ؟

(٤) سورة نوح .

وقوله « لا ترجون لله وقاراً » أن لا تحسون بعظمة الله التي فيها الرجاء لكم والخلاص من ذنوبكم ؟
والله أعلم .

(٥) قول ابن تيمية : أن لا يعارضا بترخص جاف . أي لا يكون هم المؤمن معارضة أوامر الله تعالى =

لتشديد غال (١) ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد (٢).

ومعنى كلامه أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه ، وذلك المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لامره ونهيه ، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه ، وتعظيم نهيه واجتنابه ، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالايان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر (٣) .

بالرخص والتخفيفات ، بل يجب أن يلتزم بأوامره تعالى ونواهيه قائلا « سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . ونضرب مثلا لذلك النهي عن شرب الخمر ، فلا يأتي أحد ليتعلل بأنها تريجه من كذا وكذا من الأمراض والألام النفسية ، وهذا التعلل معارضة بترخص جاف .. لأن من يقوله يرخص لنفسه متناسيا بحكمة الله تعالى في الأمر والنهي ، والله تعالى أعلم .

(١) أما قوله : لا يعرضاً لتشديد غال . فمعناه أن يأخذ المؤمن نفسه بأمر الله بقبول حسن ، وبهدوء نفس وثقة بالله فلا يتشدد بصورة مرضية قد لا يطيقها . ومثاله الرهط الذين ذهبوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخذوا كأنهم استقلوها .. وراح أحدهم يقول أما أنا فأصوم ولا أفطر ، .. والثاني يقول وأما أنا فأقوم الليل ولا أنام .. والثالث يقول وأما أنا فأعزل النساء ولا أتزوج .. فعلم بهم النبي ﷺ فنهى عن هذا التشدد ..

(٢) « ولا يحملا على علة توهن الانقياد » أي لا يفهم الأمر والنهي على صورة تضعف الرغبة من النفس على الطاعة ، وتضعف الهمة عن العبادة وجلال العبودية لله وذلك كما نرى من أمر المنافقين الذين يأخذون الأمر والنهي على علة المظهرية واسترضاء الناس دون طلب رضا الله .. فهتمتهم محصورة ، وانقيادهم ضعيف .. وقد يكون المراد من العلة المشار إليها والتي توهن الانقياد ان تكون النفس مشبعة بفكرة عليلة لا تناسب منطق الايمان فتكون هذه الفكرة مانعا من النفس عن الانقياد المطلق لأوامر الله كما نرى في أصحاب الأهواء والماديين الذين يتعلقون بماديتهم وأهوائهم فيأخذون من الأوامر والنواهي ما يخدم هذه الأهواء ، مثاله الدعاء إلى تحرير المرأة يستخرجون من القرآن الآيات التي يزعمون أنها دالة على المساواة كقوله تعالى « اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » .. وفي نفس الوقت يتغاضون عن آيات التحشم والوقار ... نسأل الله العافية ؟

(٣) لعله يقصد بالنفاق الأكبر : ذلك الذي وضحه الله تعالى في أول سورة المنافقين : « ... اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بإنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » « آخر آية (٨) من السورة »

وقد يسأل سائل فهل هناك نفاق اصغر غير هذا النفاق الأكبر؟ ويجاب على هذا السؤال بأن هناك الرياء .

فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق ، وطلب المنزلة والجاه عندهم ، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي . فهذا ليس فعله وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الأمر المناهي ، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكماها ، والحرص على تحيئها في أوقاتها ، والمسارعة إليها عند وجوبها ، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها ، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفرداً فإنه قد فاتته سبعة وعشرون ضعفاً . ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندماً وأسفاً ، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألف ألف وما شاء الله تعالى .

فإذا فوّت العبد عليه هذا الربح قطعاً - وكثير من العلماء لا صلاة له^(١) - وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع^(٢) لها ، فهذا عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه ، وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى ، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه^(٣) ، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد^(٤) عليه ولكانت قرعة^(٥) . وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته . كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل ، وكلما بعدت الخطأ كانت خطوة تحط خطيئة ، وأخرى ترفع درجة . وكذلك

(١) لعله يشير إلى قول الامام عليّ « لا صلاة لجار المسجد إلا بالمسجد » . والنهي هنا ليس للحرمان من أجر الصلاة أو سقوط ثوابها . . ولكن الأسلوب هنا خبري للترغيب لأنه لو كان بمعنى أن صلاته غير معتبرة أو غير مقبولة فيكون هذا قريباً من الحكم عليه بالكفر . . بل إن هذا بعين أن من أصر على الصلاة في بيته فإنه يرتكب كبيرة على الأقل . . إن لم يكن إصراره كفراً . وهذا ما لم يقل به أحد والله أعلم .

(٢) خائف فزع .

(٣) على ميامنه : أي اليمين من وفي ذلك تفضيل للوقوف على يمين الامام والله أعلم .

(٤) المجالدة الصبر والأصرار .

(٥) ورد في الحديث الشريف « لو علم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه . . » رواه البخاري ومسلم .

فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب^(١) فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها ، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه ، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة ؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره ؟ فهكذا سواء الصلاة الخيالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد - أو الأمة - الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في احكام الدنيا ، ولا يثبه عليها ، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن ومسنند الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ إنه قال « إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرين .

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها . وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر السيئات تكفيراً كاملاً ، والناقص بحسبه . وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما .

(١) حضور القلب في الصلاة اي عدم الانشغال عنها ولا يتم ذلك الا بتدبر الآيات التي يقرأها المصلي او التي يسمعها من الامام فإذا قرأ الفاتحة استحضر أنه يخاطب المولى بها . . . وان الله تعالى يرد عليه فيها فإذا قرأ المؤمن : الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدني عبدي فإذا قرأ : الرحمن الرحيم قال الله : انني علي عبدي ، إلى آخر الحديث المشهور وكذا إذا قرأ سورة أخرى فعليه أن يتفهمها فإذا مر على آية نعيم سأل الله بقلبه أن ينعم عليه . . . وان مر بآية عذاب استعاذ بالله تعالى منه . . . وهكذا يكون حضور القلب والله أعلم .

(٢) يجب هنا أن نفرق بين مغفرة الذنوب وتكفير السيئات حيث وردا معا في قوله تعالى « ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . . . » وبذهي أن تكفير السيئات عن المؤمن غير مغفرة الذنوب . . .
نقول - وبالله التوفيق - إن تكفير السيئات : يعني إخفاء النقائص التي لا ينفك عنها أي إنسان ، مثل ما يلحق الإنسان من غفلة أو شهوة أو اندفاع وتهور . . كل هذا موجود في فطرة الانسان ، وتكفيرها عنهم أي حجبتها عن التأثير فيهم ولهذا فإن السيئات تعني هنا النقائص - ويكون معنى (كفر عنا سيئاتنا) أي أحجب عنا هذه النقائص ، وأعنا على التغلب عليها . .
أما مغفرة الذنوب فإذا قارف المؤمن معصية فإن الله يحورها عنه إذا تاب . . فالمغفرة هي أن تحط عنه الاحمال . وتحمي الخطايا والله أعلم .

تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان ، وتكفير العمل
للسيئات بحسب كماله ونقصانه . وبهذا يزول الاشكال الذي يورده من نقص
حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه « أن صوم يوم عرفة يكفر سنتين ،
ويوم عاشوراء يكفر سنة » قالوا : فإذا كان دأبه دائماً انه يصوم يوم عرفة فصامه
وصام يوم عاشوراء ، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة^(١) ، وأجاب
بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات .

ويا لله العجب ، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه
سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض ، والتكفير بهذه مشروط بشروط ، موقوف على
انتفاء موانع في العمل وخارجه ، فإن علم العبد انه جاء بالشروط كلها^(٢)
وانتفت عنه الموانع كلها فحينئذ يقع التكفير ، وأما عمل شملته الغفلة أو
لأكثره ، وفقد الإخلاص الذي هو روحه ، ولم يوف حقه ، ولم يقدره حق
قدره ، فأى شيء يكفر هذا ؟ فإن وثق العبد من عمله بانه وفّاه حقه الذي
ينبغي له ظاهراً وباطناً ، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ولا يبطل محبطه - من
عجب أو رؤية نفسه فيه أو يمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف
بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادي من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه وأنه
قد استهان بحرمته - فهذا أي شيء يكفر ؟ ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر
من أن تحصر ، وليس الشأن في العمل ، إنما الشأن في حفظ العمل^(٣) مما يفسده
ويحبطه .

(١) فهمنا معنى التكفير فإنه معونة من الله تعالى فتزداد المعونة وتتضاعف حسب العمل والاخلاص
منه قال رشيد رضا وذلك كقولهم : إن جحا صام يوم عاشوراء إلى الظهر وقال يكفني تكفير
سنة أشهر .

(٢) أي أداها على وجهها الأسئل .

(٣) ولهذا كان التعبير القرآني « من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا
مثلا » وقد عبر بالفعل « جاء » ولم يعبر بالفعل « عمل » لأن العبرة ليست بعمل الحسنات وإنما
العبر بالمحافظة عليها من المثلقات التي قد تعرض لها فتحرم الانسان من المحيي بها يوم
القيامة . . فإنه قد عمل الحسنة ولكن هناك من يحيي بها وهناك من لا يحيي بها . وذلك مثل
الصدقة . . فهي -سنة . . ولكنها تبطل بالمرء والأذى . . فيكون مثل هذا الانسان قد عمل
الحسنة فتصدق ولكنه أتلفها ولم يحيي بها سليمة يوم القيامة ، ونسأل الله العافية .

فالرياء وإن دق محبط للعمل ، وهو أبواب كثيرة لا تحصر ، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضا موجب لكونه باطلا ، والمنّ به على الله تعالى^(١) بقلبه مفسد له ، وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر والاحسان والصلة مفسد لها . كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى ﴾^(٢) وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾^(٣) فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض ، وليس هذا بردة^(٤) ، بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها ، فما الظن بمن قمّ على قول الرسول ﷺ وهدية وطريقه قول غيره وهديه وطريقه ؟

أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟ ومن هذا قوله ﷺ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »^(٥) ومن هذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضي الله عنه لما باع بالعينة^(٦) : إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ ، إلا أن يتوب . وليس التبائع بالعينة ردة ، وإنما غايته أنه معصية ، فمعرفة ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد ويحرص على عمله ويحذره . وقد جاء في أثر معروف إن العبد ليعمل العمل سرا لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى

(١) وذلك بأن يرى أنه أطاع وأنه قدم عملاً لا يقدمه غيره مثل المصلي الذي يقتصر على أداء الفريضة دون السنة فإذا حدثته من ذلك قال . . « هذا حسن منا أنفعله . . وغيرنا لا يصلي » أو في معنى ذلك وهذا يمتن على الله تعالى . . قال سبحانه « يمتن عليك أن أسلموا قل لا تمتوا على إسلامكم بل الله يمتن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٤ .

(٣) سورة الحجرات : ٢ .

(٤) أي ليس ارتداداً عن دين الله تعالى .

(٥) واحباط العمل هنا أظن أنه ليس على إطلاقه بل هو للتحذير إلا إن ترك الصلاة منكراً لفرضيتها والله أعلم . والحديث رواه البخاري ومسلم عن بريدة .

(٦) التبائع بالعينة : يبيع شيئاً من غيره بثمان مؤجل ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمان نقد أقل من ذلك الثمن الأول .

فيتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية فإن تحدث به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله كما لو فعله لذلك (١) .

فإن قيل : فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل ؟ قيل : إن كان قد عمله لغير الله تعالى وأوقعه بهذه النية فإنه لا ينقلب صالحا بالتوبة ، بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه فيصير لا له ولا عليه . وإما أن عمله لله تعالى خالصا ثم عرض له عجب ورياء أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط . وقد يقال : إنه لا يعود إليه بل يستأنف العمل . والمسألة مبنية على أصل ، وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجرد ما أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟ فيه للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه . فإن قلنا تحبط العمل بنفسها فمتى أستلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الاسلام . وإن قلنا لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتدا ، فمتى عاد إلى الاسلام عاد إليه ثواب عمله (٢) . وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة ؟ يخرج على هذا الاصل .

ولم يزل في نفسي من هذه المسألة ولم أزل حريصا على الصواب فيها وما رأيت أحدا شفي فيها ، والذي يظهر - والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة إلا به - ان الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ويكون الحكم فيها للغالب وهو يقهر المغلوب ويكون الحكم له حتى كان المغلوب لم يكن ، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته ، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تروى وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة ، فإذا عزم التوبة وصحت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرت عليه من السيئات

(١) قال المنذري وربي عن أبي الدرداء او عن رسول الله ﷺ . . . وساقا حديثا ثم قال أظن موقوفا والله أعلم .

(٢) وهذا ما نرجو أن الصواب بجانبه أن شاء الله تعالى ، وهو أولى لفاعل الحسنة ثم اردفها بسيئة تحبطها ثم تاب عن ذلك والله أعلم .

حتى كأنها لم تكن ، فإن التائب من الذنب لا ذنب له (١) .

وقد سأل حكيم بن حزام رضي الله عنه النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك : هل يثاب عليه ؟ فقال النبي ﷺ « أسلمت على ما أسلفت من خير (٢) » فهذا يقتضي أن الاسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي كانت باطلة بالشرك ، فلما تاب من الشرك عاد إليه ثواب حسناته المتقدمة . فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحا صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته ، يوضح هذا أن السيئات والذنوب هي أمراض قلبية ، كما أن الحمى والاوراجاع وأمراض بدنية ، والمريض إذا عوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط . فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات ، والمرض بمنزلة الذنوب ، والصحة والعافية بمنزلة التوبة ، وكما أن المريض من لا تعود إليه صحته أبداً لضعف عافيته ، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها ويعود البدن إلى كماله الأول ، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لاسباب الضعف والمرض حتى ربما كان مرض هذا سببا لعافيته كما قال الشاعر :

لعل عتبك (٣) محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث . والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه (٤) .

(١) الحديث رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير قال في المقاصد رجاله ثقات وقد حسنه ابن حجر لشواهده .

(٢) رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم .

(٣) العتب العتاب ويأتي عقب القطيعة والتدابير تمهيداً للإصلاح .

(٤) يؤكد ذلك قول النبي ﷺ « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

كما يؤيده أحاديث الحج التي تجعل الحاج البار في حجه « رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » والله تعالى أعلم .

(دلائل تعظيم الأمر والنهي)

(فصل) وأما علامات تعظيم المناهي^(١) ، فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها ، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها . وأن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه ، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها ، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه ، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته . ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه ، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عصى الله تعالى في أرضه ، ولم يضلع باقامة حدوده وأوامره ، ولم يستطع هو أن يغير ذلك .

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط ، مثال ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر^(٢) فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصاً جافياً ، وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر ، فمن حكمة الشارع ﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر فيصلي العبد بقلب حاضر ، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والاقبال على الله تعالى . ومن

(١) تعظيم المناهي يكون باتقانها وعدم تعدي الحدود التي رسمها المولى سبحانه وتعالى لعباده . . . ونلمس ذلك في كتاب الله تعالى ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ ، وقال ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ وقد وضحت الآية أن هؤلاء ظالمون لأنهم استهانوا بالحرام فولوجوه، وخف على قلوبهم فاستعذبوه وما علموا أنهم بذلك يستنزلون على أنفسهم البلاء والغضب من الله تعالى وقد وضع لنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: « . . . الا وإن لكل ملك حمى إلا وإن حمى الله في الأرض محارمه . . . » وقد وعد الله تعالى المعظمين لنواهيه خيراً فقال ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ أما تعظيم الأوامر فيكون بأخذها على الوجه الأمثل لها، بمراعاة ما تستحقه من اعتبار وخشوع حتى تكون عند المؤمن بمنابة الأمر الذي لا يناقش . قال تعالى ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ .

(٢) ورد في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » .

هذا نبيه ﷺ أن يصلي بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط^(١) ، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة ولا يحصل المراد منها ، فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله ، ثم يفرغ قلبه للصلاة فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه له وأقبل بكلية عليه ، فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه .

والمقصود أن لا يترخص ترخصا جافيا . ومن ذلك أنه ارخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر وتعدر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير وتعدر النزول أو تعسيره عليه ، فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم فجمعه بين الصلاتين لا موجب له لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة ، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد ، بل الجمع رخصة^(٢) ، والقصر سنة راتبة^(٣) ، فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يكن ، وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة ، فهذا لون وهذا لون . ومن هذا أن الشيع في الأكل رخصة غير محرمة فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشيع إلى حد التخمة والامتلاء فيتطلب ما يصرف به الطعام فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده ، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ويدع الطعام وهو يشتهي ، وميزان ذلك قول النبي ﷺ « ثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه^(٤) » ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده .

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي فهو كمن يتوسوس في الوضوء

(١) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الا خيثان » .

(٢) وإتيان الرخصة لا يكون تجافيا وخصوصا إذا كان هذا الاتيان من منطلق تعظيم أوامر الله تعالى .. فإن العبد يثاب على إتيانها أعظم من إثابته على تركها فإذا أعلم العبد أن هذه الرخصة فضل من الله .. ومنحة وبركة منه سبحانه وتعالى فعليه أن يأتيها دون حرج .. وذلك أفضل من أن يترك الحج ويصلي الصلاة لوقتها وهو يشعر أنه مشغول بالأمر الذي سافر من أجله .. أو يحس بضيق الوقت .. هذا والله أعلم .

(٣) السنة هنا : أي الطريقة والهدي المحمدي .

(٤) الحديث رواه الترمذي وحسنه .

متغاليا فيه حتى يفوت الوقت ، أو يردد تكبيرة الأحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة أو يكاد تفوته الركعة ، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئا من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه . ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئا من بلاد الاسلام وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك ، فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين وحسن الظن بالنصارى نعوذ بالله من الخذلان .

فحقيقة التعظيم للامر والنهي أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشديد غال . فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكة ، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما تقصير وتفريط ، وإما إفراط وغلو . فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين ، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه^(١) ، فإن وجد فيه فتورا وتوانيا وترخيصا أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور ، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك^(٢) ، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة .

وإن وجد عنده حذراً وجدًا وتشميرا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسؤل له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا ، وينبغي لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا تترقد إذا رقدوا ، ولا تفطر إذا أفطروا ، وأن لا تفتر إذا فتروا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعا ، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي ، فيحمله على الغلو والمجازرة وتعدي الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه ، ومقصوده من الرجلين إخراجهما

(١) يستامه أي يساومه ويختبره .

(٢) وهذا دأب الكسالى : منهم يحاولون أن يجيروا ما عندهم من نقص في العمل بزيادة من الكلام . . وإكثار من التبريرات التي تزين لهم ما هم فيه حتى يظهروا أمام أنفسهم . والمخدوعين فيهم . وكانهم على الحق الواضح .

عن الصراط المستقيم : هذا بأن لا يقربه ولا يدلوه منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه . وقد فتن بهذا أكثر الخلق ، ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربه ولزوم الوسط . والله المستعان .

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يحمل الامر على علة تضعف الانقياد والتسليم لامر الله عز وجل ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ممثلاً ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر^(١) ، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمل ذلك على مزيد الانقياد والتسليم ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمتسبين إلى التصوف ، فإن الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية ، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد ، فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية .

فإن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الأدمي واختاره من بين سائر البرية ، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والاخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة ، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله ، وهو النظر إلى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته في جنته ، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة ، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه ، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه^(٢) فتميل نفسه معه ، لأنه يدخل عليها بما تحب ، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد : ثلاثة مسلطون أمرون ، فيبعثون الجوارح في قضاء وطهرهم^(٣) ، والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث ،

(١) فإن المريض لا يطلب من الطبيب أن يوضح له الحكمة في اختيار الدواء بل يقبل منه واثقاً من حسن رأيه ، وكذلك المؤمن مع ربه - والله المثل الأعلى - لم يجرب عن الله إلا الخير . . فقد أمده الله بالسمع والبصر والمذاق ، ولذة الشهوة ، ومتعة بالصحة وأنزل له المطر وسخر له الشمس والقمر . . كل ذلك لا ينكره أحد . . فإذا رضي الانسان من ربه النعمة المادية . . فما عليه إلا أن يقبل نعمته الروحية فيلتقي ما جاء به الوحي بالقبول . مستسلماً لله موقفاً بحكمته تعالى .

(٢) فالشيطان يعرف كل خصائص الانسان قال تعالى « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » .

(٣) أي حاجتهم وغرضهم .

فهذا شأن هذه الثلاثة وشأن الجوارح ، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمشون .

هذا مقتضى حال العبد ، فاقترضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر وأمدّه بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه ، فأرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان ، فإذا أمره الشيطان بأمر أمره الملك بأمر ربه وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك ، فهذا يلم به مرة وهذا مرة ، والمنصور من نصره الله عز وجل ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى ، وجعل له مقابل نفسه الامارة نفساً مطمئنة^(١) إذا أمرته النفس الامارة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة ، وإذا نهته الامارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة . فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة ، وهو الغالب منهما ، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً . وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الامارة نوراً وبصيرة وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الامارة نوراً وبصيرة وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى ، فكلمها أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور : الحذر الحذر ، فإن المهالك والمتالف بين يديك وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق ان سرت خلف هذا الدليل . فهو يطيع الناصح مرة فيبين له رشده ونصحه ، ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويؤخذ ماله

(١) ذكروا أن النفس على مراتب فأولها النفس الامارة وهي التي تدعو الانسان إلى الشر وتحشه عليه وقد ذكرت من قوله تعالى وفي قصة يوسف « وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي » والثانية اللوامة وهي التي تقلق للشر وتؤنب عليه . . وتدفع الانسان إلى النوم على ما قدم . . وهذه النفس أقسم الله تعالى بها فقال « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » وقد جعلها المولى سبحانه نظير يوم القيامة فأقسم بها كما أقسم به ، وذلك لجلال قدرها وعظم خطرهما - ويظهر - والله أعلم - أن الصراع مستمر بين هذين الوجهين حتى ينتصر أحدهما ويسيطر على جوانب النفس الانسانية ويطبعها بطابعه . . فإذا انتصرت النفس الامارة . . كانت الحصيلة في النهاية نفساً خبيثة فاسدة . .
أما إذا انتصرت النفس اللوامة . . كانت النتيجة نفساً راضية طيبة كما قال تعالى « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية . . والله تعالى أعلم .

ويسلب ثيابه فيقول : ترى من أين أتيت^(١) ؟

والعجب أنه يعلم من أين أتى ، ويعرف الطريق التي قطعت عليه وأخذ فيها ويأبى إلا سلوكها ، لان دليلها قد يمكن منه وتحكم فيه وقوي عليه ، ولو أضعفه بالمخالفة له وزجره إذا دعاه ومحاربتة إذا أراد أخذه لم يتمكن منه ، ولكن هو مكنه من نفسه وهو أعطاه يده ، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه فيباشر ثم يسومه سوء العذاب ، فهو يستغيث فلا يغاث ، فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمانة ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه ، فلما أن بلي العبد بما بلي به أعين بالعاكر والعدد والحصون ، وقيل : قاتل عدوك وجاهده ، فهذه الجنود خذ منها ما شئت ، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها وربط إلى الموت ، فالأمر قريب ومدة المرابطة يسيرة جدا ، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره واسترحت من هذا الجهاد وفرق بينك وبين عدوك وأطلقت في داره الكرامة تتقلب فيها كيف شئت وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه . فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه وأيس من الروح والفرج ، وأنت فيما اشتهدت نفسك ، وقرت عينك ، جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة ولزومك الثغر للرباط ، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن .

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه فليتدبر قوله عز وجل : ﴿ كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة ﴾^(٢) وقوله عز وجل : ﴿ كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾^(٣) وقوله عز وجل : ﴿ قال كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين ، قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ﴾^(٤) وقوله عز وجل : ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ، يتخافتون بينهم إن لبثتم

(١) أي من أين هوجمت .

(٢) سورة الأحقاف : ٣٥ .

(٣) سورة النازعات : ٤٦ .

(٤) سورة المؤمنون : ١١٢ .

إلا عشراً . نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴿١﴾
 وخطب النبي ﷺ أصحابه يوماً ، فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال وذلك
 عند الغروب قال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا
 فيما مضى منه » ﴿٢﴾ فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث ، وليعلم أي
 شيء حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها ، ليعلم أنه في
 غرور وأصغاث ﴿٣﴾ أحلام ، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس
 لا يساوي شيئاً ، ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ موفوراً
 وأكمل منه ، كما في بعض الآثار : ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تريحها جميعاً ،
 ولا تبع الآخرة بالدنيا تحسرهما جميعاً . وقال بعض السلف : ابن آدم ، أنت
 محتاج إلى نصيبك من أحوج . فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من
 الآخرة وكنت من نصيب الدنيا على خطر ، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت
 بنصيبك من الدنيا فانتظمت انتظاماً . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 يقول في خطبته : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى . وإن
 لكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، فخاب
 وشقي عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التي وسعت كل شيء ، وجنته التي

(١) آية طه ١٠٣ - ١٠٤ .

ومن الآيات يظهر أحد المعاني الهامة التي يجب أن يصحورها الانسان ، فإن الزمن في إقباله
 عظيم ، له قيمته ، وله شأنه في حياة الانسان ، فإذا ما انقضت المدة تضاعف الاحساس بالزمن
 عند الانسان ، فالكهل الذي أخيل إلى المعاش وانتهت مدة خدمته ، يشعر بأن ما مضى لم يكن
 إلا حلماً أو طيف خيال وكذا يكون الأمر يوم القيامة حين يشعر الكافرون أنهم ما قضوا في الحياة
 زمناً يُذكر ، ولهذا قدر الاسلام الزمن في إقباله ، وسن من الشرائع ما يجعل المؤمن مدركاً لقيمة
 الزمان ، فالفرائض كلها مرتبطة بالزمان حتى لا يغفل الانسان عن عمرة فيضيع هباءً ، فالصلاة
 مرتبطة بدوران الوقت طيلة اليوم صباحاً ومساءً . والصوم مرتبط بدوران الوقت سنوياً . .
 وكذلك الحج ، وكذلك الزكاة لا ترتبط بالمال أو عائد الانتاج فقط وإنما ترتبط بالزمن - وذلك إذا
 حال الحول على ما يزيد عن النصاب ، كما أنها مرتبطة بدورة الانتاج ، وهكذا يعمر الانسان كل
 وقته بالفرائض إلى جانب السنن والتربيات حتى لا يضعف الاحساس عنده بقيمة الوقت . . والله
 تعالى أعلم .

(٢) الحديث .

(٣) اصغاث جمع صغث

عرضها السموات والارض . وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى
واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بياق ، وشقاوة بسعادة . ألا ترون أنكم في
أصلاّب الهالكين ، وسيخلفه بعدكم الباقون ؟ ألا ترون أنكم في كل يوم
تشيعون غاديا رائحا إلى الله قد قضى نجه ، وانقطع أمله ، فتضعونه في بطن
صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الاسباب ، وفارق الاحباب ،
وواجه الحساب ؟

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود
والعدد والأمداد ، وبين له بماذا يحرز^(١) نفسه من عدوه ، وبماذا يفتك نفسه إذا
أسر . وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه والترمذي من حديث الحارث
الاشعري عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا ﷺ
بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، وأنه كاد أن
يبيطها ، فقال له عيسى عليه السلام : إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات
لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم وإما أن أمرهم ،
فقال يحيى : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي وأعذب . فجمع يحيى الناس في
بيت المقدس ، فامتأ المسجد ، وقعد على الشرف ، فقال : إن الله تبارك
وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعملهن وأمركم أن تعملوا بهن : أولهن أن
تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وإن من أشرك بالله كمثّل رجل اشترى عبداً من
خالص ماله بذهب أو ورق فقال : هذه دارى وهذا عملي ، فاعمل وأدّ إليّ .
فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده . فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وإن
الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده
في صلاته ما لم يكن يلتفت^(٢) . وأمركم بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثّل رجل في
عصاة معه صرة فيها مسك كلهم يعجب أو يعجبه ريحه ، وأن ريح الصائم
اطيب عند الله تعالى من ريح المسك . وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك مثل رجل
أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : أنا أفتدي منكم

(١) أي يحمي .

(٢) قال تعالى « وقوموا لله قانتين » .

بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فإن مثل ذلك كمثّل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى . قال النبي ﷺ « وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة . فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة^(١) الاسلام من عنقه إلا أن يراجع . ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم^(٢) » فقال رجل : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ « قال وإن صلى وصام^(٣) فادعوا بدعوى الله الذي^(٤) سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن - الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتعقله - ما ينجي من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه ، فذكر مثل الموحد والمشارك : فالموحد كمن عمل لسيدته في داره وأدى لسيدته ما استعمله فيه ، والمشارك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده ، فهكذا المشارك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدو الله بنعم الله تعالى . ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت^(٥) المماليك عنده وكان أشد شيئاً غضباً عليه وطرده له وإبعاده ، وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما ، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له ، ولا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يصرف السيئات إلا هو ، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه ، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة ، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر ، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه

(١) ربقة : عروة من الحبل تشد إليه ، والتعبير كناية عن الخروج من الاسلام .

(٢) جثى : بضم الجيم وكسرهما من جثا يجثى جثياً وجثوا . . على الركبتيين مثل : جلوب .

(٣) في المسند قال وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم . ٢٠٢/٤ .

(٤) أي ادعوا بدعوى الله حيث اختار لكم الايمان والاسلام ، وذروا دعوى الجاهلية .

(٥) امقت : أي أبغض ، وهي اسم تفضيل أي اشد مقتاً وبغضاً .

أو أكثر ، وشواهد احوالهم - بل وأقوالهم وأعمالهم - ناطقة بأنهم يجنون أنداده^(١) من الاحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويطلبون رضاهم ويهربون من سخطهم أعظم مما يجنون الله تعالى ويخافون ويرجون ويهربون من سخطه ، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾^(٢)

والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لا يغفر الله منه شيئا ، وهو الشرك به ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به^(٣) . وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئا ، وهو ظلم العباد بعضهم بعضا ، فإن الله تعالى يستوفيه كله^(٤) . وديوان لا يعبأ الله به ، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل ، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً^(٥) ، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك ، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحي إلا بالتوحيد ، وديوان المظالم لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها . ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله ، فلا تدخل الجنة نفس مشركة ، وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها ، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها ، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به .

والنهي عن المكر وصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وبر الوالدين ، فأى عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحا صالحا من التوحيد وركب فيه أسنانا من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به فلم يعقه عن الفتح عائق^(٦) ، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم

(١) أنداده جمع ند وهو النظير .

(٢) سورة النساء : ٤٨ / ١٦٦ .

(٣) قال تعالى « ان الشرك لظلم عظيم » .

(٤) وقد ورد ان النبي ﷺ لم يكن يصلي على الميت إن كان عليه ذنوب ، وكان يقول عن علي عليه ذنوب . . إنه محبوس على باب الجنة بسبب دينه .

(٥) قال تعالى « إن الله يغفر الذنوب جميعاً » .

(٦) أي لم يمنعه مانع .

يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبة والاستغفار^(١) ، فإنه يجبس عن الجنة حتى يتطهر منها ، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه ، ثم يخرج منها فيدخل الجنة فإنها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب . قال سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَّبْتُمْ فادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول أي بسبب طيبكم قيل لكم ادخلوها .

وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشرب ودار الخبيثين ، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لثراكب بعضه على بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث . لما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبث ، وخبث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب ، دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفتيان ، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفتى وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخبث المحض .

وقوله في الحديث « وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت » الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان .

(١) وذلك كأن يكون العبد مسرفاً على نفسه ، مصراً على ذنبه ، فإن الله تعالى فتح باب الأمل واسعا أمام عباده المؤمنين فقال « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » . وقال سبحانه « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » . فقد ضمن المولى سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ان يطهرهم أولاً فأولاً من أرجاس الذنوب وأوساخها حتى يقدوا عليه سبحانه أصفياء أنقياء .

(احدهما) التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى^(١)
 (الثاني) التفات البصر^(٢) وكلاهما منهي عنه . ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته ، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه . وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال « اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد^(٣) » وفي أثر يقول الله تعالى : ﴿إلى خير مني ، إلى خير مني^(٤) ؟ ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه أو مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه ، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينا وشمالا وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به ، لأن قلبه ليس حاضراً معه ، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدا قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلاً قلبه من هيئته ، وذلت عنقه له ، واستحى من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه . وبين

(١) التفات القلب من الصلاة من منتهى الخطورة ، فإن القرآن قد شرط الفلاح والنجاح بالخشوع في الصلاة قال تعالى « قد افلح المؤمنون الذين هم من صلاتهم خاشعون » . والتفات القلب معناه حرمان المصلي من أساس هام من أسس الفلاح ، بل انه يخرج الانسان إلى دائرة الخطرة . . دائرة النفاق - قال تعالى « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . . » فانصرف القلب معناه الكسل عن الصلاة ، وعدم الاخلاص فيها ومراعاة الناس بها - وهذا الالتفات المستمر الذي يدب عليه صاحبه فيجعله من المنافقين أما الالتفات العارض فلا شيء فيه ولذلك فقد توعد الذين يسهون عن صلاتهم « . . فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمتنعون الماعون » فالسهو هنا انصراف القلب والتفاته عن صلاته وقد يثمر ذلك عدم اداء الصلاة مطلقا ، أو اداءها بقلب غائب منصرف عن الله تعالى .

(٢) التفات البصر لا يقصد به تحريك الحدق ولكن يقصد به صرف الوجه عن القبلة عمداً إلى اليمين أو الشمال وهذا هو المنهي عنه بل انه قد يخرج المرء عن صلاته .

(٣) اخراجه الشيخان من حديث عائشة .

(٤) عن أبي الاصول عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت فإذا صرف وجهه انصرف عنه » أخرجه أحمد والنسائي وأبو داود ، والأثر المذكور أخرجه المنذري عن جابر عن النبي ﷺ من حديث طويل . ثم قال البزار ، وهو أثر ضعيف . والله أعلم .

صلاتيهما كما قال حسان بن عطية : إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل والأخرة ساه غافل .

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه حجاب لم يكن إقبالا ولا تقريبا ، فما الظن بالخالق عز وجل ؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها فكيف يكون ذلك إقبالا وقد ألهته الوساس والأفكار وذهبت به كل مذهب ؟ والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه ، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيبه للشيطان وأشده عليه ، فهو يحرص ويجهد أن لا يقيم فيه ، بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجله^(١) حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها .

فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه ، فيذكره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسي شيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل ، فيقوم فيها بلا قلب ، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته ، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياها وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة ، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ؟ ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقابله . فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه ، وأحس بأثقال قد وضعت عنه . فوجد نشاطا وراحة وروحا^(٢) ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرّة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى

(١) أي يهجم عليه بكل جنوده وامكانياته ليفسد عليه صلاته، وكما يقولون إن الشيطان كاللص لا يجوم إلا حول البيوت العامرة ليسرقها ويتلف ما فيها ولذا فالشيطان أشد حرصا على إتلاف عبادة المؤمن .
(٢) النشاط الإقبال على الحياة والراحة بتخفيف اثقال الذنوب فيستريح منها العبد، وأما الروح فهو الطمأنينة واسترواح النفس وإسراقها .

يدخل فيها فيستريح بها لا منها . فالمحبون يقولون : نصلي فنستريح بصلاتنا كما قال إمامهم وقدوتهم ونبههم ﷺ « يا بلال أرحنا بالصلاة^(١) » ولم يقل أرحنا منها ، وقال ﷺ « جعلت قرّة عيني في الصلاة^(٢) » فمن جعلت قرّة عينه في الصلاة كيف تفر عينه ﷺ بدونها ، وكيف يطيق الصبر عنها ؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرّة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان ، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول « حفظك الله تعالى كما حفظتني » ، وأما صلاة المفرد المضيق لحقوقها وحدودها وخشوعها ، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول « ضيعك الله كما ضيعتني » ، وقد روي في حديث مرفوع رواه بكر بن بشر عن سعيد بن سنان^(٣) عن أبي الزاهرية عن أبي شجرة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه أنه قال « ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أمكانه ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئا إلا رفعت له إلى الله عز وجل بيضاء مسفرة^(٤) يستضيء بنورها ما بين الخافقين^(٥) حتى ينتهي بها إلى الرحمن عز وجل ، ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها وآخرها عن وقتها واسترق^(٦) ركوعها وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، ضيعك كما ضيعتني^(٧) .

(١) رواه ابو داود عن سالم بن أبي الجعد .

(٢) هو جزء من حديث أخرجه النسائي والحاكم عن أنس بلفظ « حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة » .

وقرة العين يعني سرورها ، والمقصود راحة النفس وهدوء البال .

(٣) سعيد بن سنان أبو مهدي الحمصي : ضعفه أحمد وقال يحيى ليس بثقة وقال مرة : ليس بشيء وقال الجوزجاني : أخاف ان تكون أحاديثه موضوعة وقال البخاري : منكر الحديث وقال النسائي : متروك . (راجع ميزان الاعتدال للذهب ٣٢٠٨) و (المجروحين لابن حبان ج ١ / ٣١٨) .

(٤) مسفرة مضيئة ومنها أسفر الصبح .

(٥) الخافقان أي المشرق والمغرب

(٦) استرق بمعنى سرق

(٧) روى الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت نحوه ، وفي سننه الأحوص بن حكيم وثقة ابن =

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل . فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة .

والمقبول من العمل قسمان :

(احدهما) أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ذاكر لله عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل حتى تقف قبالة فينظر الله عز وجل إليها ، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب إليه أحبها ورضيها وقبلها .

(والقسم الثاني) : أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله فأركانها مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله ، وكذلك سائر أعماله ، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله عز وجل لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها ، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز ، فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها . فهذا قبوله لهذا العمل إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والخور العين ، وإثابة الأول رضا العمل لنفسه ورضاه عن معاملة عاملة وتقريبه منه وإعلاء درجته ومنزلته ، فهذا يعطيه بغير حساب ، فهذا لون والاول لون^(١) .

والناس في الصلاة على مراتب خمسة :

= المدني والعجلي ، وضعفه جماعة ، ومن الأوسط عن أنس وفيه عباد بن كثير . اجمعوا على ضعفه .

(١) أشار القرآن الكريم إلى القسمين من العمل المقبول في سورة الواقعة فقال تعالى : « فإننا إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من اصحاب اليمين ، فسلام لك من اصحاب اليمين » .

وبين ان جزاء المقربين : ثلاثة أنواع : الروح أي السعادة ، ولريحان أي الاتحاف الإلهي بالرضا ، وجنة نعيم ان الخلود في النعيم . .

وأما أصحاب اليمين فهو يحس بالسلام والأمان لأنه نجا من النار قال تعالى « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » .

أحدها : مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقبتها وحدودها وأركانها .

الثاني : من يحافظ على مواقبتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس والأفكار .

الثالث : من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .

الرابع : من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها ، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلب شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها .

الخامس : من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه مراقباً له ممتثلاً من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات وارتفعت حجبتها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به .

فالقسم الأول معاقب ، والثاني محاسب ، والثالث مكفر عنه ، والرابع مثاب ، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة ، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة ، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا ، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل : ﴿ ارفعوا الحجب ، فإذا التفت قال أرخواها ﴾ ، وقد فسر هذا الالتفات بالالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره ، فإذا التفت إلى غيره ، أرخى الحجاب بينه وبين العبد فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا وأراه إيها في صورة المرأة ، وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر

الشیطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب ، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب ، فإن فر إلى الله تعالى واحضر قلبه فر الشيطان ، فإن التفت حضر الشيطان ، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة .

(أنواع القلوب)

فصل : وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه ، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسرته الهوى ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوسواس والأفكار ؟

والقلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسواس إليه لانه قد اتخذ بيتاً ووطناً وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه^(١) غاية التمكن .

القلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال^(٢) . وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبه عدوه له أكثر . ومنهم من هو تارة وتارة .

(القلب الثالث) قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، واقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره اشراق ، ولذلك الاشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسقاء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق . وليست السقاء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السقاء ، والسقاء متعبد الملائكة ومستقر الوحي وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد

(١) بل صار صاحب هذا القلب من جنود الشيطان وأعوانه . يسعى في الظلمات ويبيع الشهوات .
(٢) تارة وتارة ، فهذا ينتصر بذلك ينهزم ثم ينهزم المنتصر وينتصر المنهزم . وهكذا .

والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يجرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئا إلا خطفه .

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو ثلاثة بيوت : بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره . وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره ، وليس جواهر الملك وذخائره . وبيت خال صفر لا شيء فيه . فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق ؟ فإن قلت من البيت الخالي كان محالا لان البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق ، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها ، فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب ؟ وان قلت : يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع ، فإن عليه من الحرس واليزك^(١) وما لا يستطيع اللص الدنو منه ، كيف وحارسه الملك بنفسه ؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله ؟ فلم يبق للص إلا البيت الثالث فهو الذي يشن عليه الغارات .

فليتأمل اللبيب هذا المثل حق التأمل ولينزله على القلوب فإنها على منواله .

فقلب خلا من الخير كله وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان قد احزره لنفسه واستوطنه واتخذه سكنا ومستقرا ، فأى شيء يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه

وقلب قد امتأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه ، فأى شيطان يجتريء على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق ، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له ، إذ هو بشر وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع .

(١) اليزك : (بالتركية) بمعنى المنع .

وقد ذكر عن وهب بن منبه^(١) رحمه الله تعالى أنه قال : وفي بعض الكتب الالهية « لست أسكن البيوت ولا تسعني ، وأي شيء يسعني والسموات حشو كرسيي ؟ ولكن أنا في قلب الوداع التارك لكل شيء سواي » وهذا معنى الأثر الآخر « ما وسعني سمواتي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن^(٢) ». وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ووعيده ، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع . وقلب بين هذين الداعيين : فمرة يميل بقلبه داعي الإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وارانته وحده ، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى والطباع . فهذا القلب للشيطان فيه مطمع ، وله منه منازل ووقائع ، ويعطي الله النصر من يشاء ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾^(٣) وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه ، فيدخل إليه الشيطان فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله ، فإن أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأمانى الكاذبة ، وهي في القلب ، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب . فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها انتصف من الشيطان ، وإلا فالدولة لعدوه عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله . فإذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به فهو المولوم .

ففسك لم ولا تلم المطايا ومت كمدا فليس لك اعتذار

(١) عجيب ان يستدل ابن قيم الجوزية - وهو من هو علما وفضلا - بما رواه وهب بن منبه ، وهو كثير الاستشهاد بالإسرائيليات ، ومن المعروف ان وهب بن منبه وكعب الأخبار يتمتعون بجرأة منقطعة النظر على الخوض من الغيبات ، ومعلوم أنها لا يقال فيها بالرأي بل بالوحي الصادق والتوقيف .

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء : لم أر له أصلا وواقفة من الدرر تبعاً للزركش .

قال في المقاصد تبعاً لشيوخه في اللآلئ : ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ، ومعناه ، وسع قلبه الايمان بي ومحبي ومعرفتي ، وإلا فمن قال إن الله يحل من قلوب الناس فهذا أكفر من النصاري الذين خضوا ذلك بالمسيح وحده . (راجع كشف الحفاء ٢/ ٢٧٣) .

(٣) سورة آل عمران ١٢٦ .

(خلوف فم الصائم)

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه :
قوله ﷺ « وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك مثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه ، وإن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك » إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك لأنها مستورة عن العيون مخبوءة تحت ثيابه كعادة حامل المسك ، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم .

والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور ، وبطنه عن الطعام والشراب ، وفرجه عن الرفث . فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه ، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه ، فيخرج كلامه كله نافعاً صالحاً ، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك ، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم . هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب ، ففي الحديث الصحيح « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » وفي الحديث « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش .

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام ، فكما أن الطعام والشراب يقطع ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته ، فتصيره بمنزلة من لم يصم .

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم هل هي في الدنيا أو في الآخرة على قولين . ووقع بين الشيخين الفاضلين إبي محمد [عز الدين] بن عبد السلام^(١) وأبي عمرو ابن الصلاح^(٢) في ذلك تنازع ، فمال أبو محمد إلى أن

(١) أبو محمد عز الدين بن عبد السلام اشتهر ببيان الملوك ، وكانت له مواقف في جهاد التتار ، وقد عرف رضي الله عنه بالشجاعة في الرأي ، فلم يخف في الله لومة لائم .

(٢) ابن الصلاح صاحب الفتاوي المشهورة له باع في الفقه .

تلك في الآخرة خاصة وصنف فيه مصنفاً رد فيه على أبي محمد ، وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان فإنه في صحيحة بَوَّب عليه كذلك فقال « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك » ثم ساق حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، والصيام لي وأنا اجزي به ، واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح^(١) » ثم قال « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة » ثم ساق حديثاً من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « قال الله تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لي ، وأنا اجزي به . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك . للصائم فرحتان : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي الله تعالى فرح بصومه^(٢) .

قال أبو حاتم : شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقاً بينهم وبين سائر الأمم . وشعارهم في القيامة بصومهم طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ، ليعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل . جعلنا الله تعالى منهم ، ثم قال « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضاً من ريح المسك في الدنيا » ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم فهو لي وأنا اجزي به ، يدع الطعام من أجلي والشراب من أجلي وأنا اجزي به ، وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقي ربه عز وجل ، واخلوف فم الصائم حين يخلف

(١) رواه الشيخان .

والخلوف : تغيير رائحة الفم من ترك الطعام والشراب . وقوله (الصيام لي) أي لا يدخله الرياء ، أو لا يدلم ثوابه إلا الله تعالى . وقيل معناه تفضيل الصوم على سائر العبادات والله تعالى أعلم .

(٢) الحديث : أخرجه مسلم .

من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك^(١) . واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة . قلت : ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه « والذي نفسي بيده ما من مكلم يكلم في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وكلمه يُدْمَى : اللون لون دم ، والريح ريح المسك^(٢) » فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلم في سبيل الله عز وجل بأنها كريح المسك يوم القيامة ، وهو نظير اخباره عن خلوف فم الصائم ، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا وهذا خلوف له ، ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكا يوم القيامة .

واحتج الشيخ أبو عمر بما ذكره أبو حاتم في صحيحه من تقييد ذلك بوقت إخلافه ، وذلك يدل على أنه في الدنيا ، فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظروف وهو قوله حين يخلف كان الخبر عنه وهو قوله أطيب عند الله خبرا عنه في حال تقييده ، فإن المبتدأ إذا تقييد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيداً ، فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه .

قال : وروى الحسن بن سفيان في مسنده عن جابر أن النبي ﷺ قال « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا^(٣) » فذكر الحديث وقال فيه « وأما الثانية فإنهم يمسون وريح أفواهم أطيب عند الله من ريح المسك . ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضا بفعله ، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة ، حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به ، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله

(١) الحديث : أخرجه مسلم .

(٢) الحديث : رواه الشيخان - مكلم يكلم : أي مجروح يجرح .

(٣) الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهم أمة قبلهم :

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفتروا ، ويزين الله لهم كل يوم جنته ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المثوبة ويصيروا إليك . وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصوا فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه من غيره . ويغفر لهم في آخر ليلة قيل يارسول الله أهي ليلة القدر؟ قال لا ولكنه العامل إنما يوفي أجره إذا قضى عمله « رواه أحمد والبخاري والبيهقي .

والرضا بفعله ، واخراج اللفظ عن حقيقته ؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى ثم يدعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له . ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت ، فإن لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة .

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك ، فمثل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم . ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين ، كما أن رضاه وغبضه وفرحه وكرهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك ، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم . وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه ، والعمل الصالح فيرفعه . وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا .

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال ، إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله الرضا ، فإن قال رضا ليس كرضا المخلوقين ، فقولوا استطابة ليست كاستطابة المخلوقين . وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب . ثم قال : وأما ذكر يوم القيامة في الحديث فلأنه يوم الجزاء ، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضاء الله تعالى حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات ، فخص يوم القيامة بالذكر وفي بعض الروايات كما خص في قوله تعالى : ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾^(١) وأطلق في باقيها نظرا إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين .

قلت من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد وغيره ، فإن

(١) سورة العاديات : ١١ .

الذي فسره الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين ورضائه بفعلهم أمر لا ينكره مسلم ، فإن الله تعالى قد اثنى عليهم في كتابه وفيما بلغه عنه رسوله ﷺ ورضي بفعله ، فإن كانت هذه هي الاستطابة فيرى الشيخ ابو محمد [لا]^(١) ينكرها . والذي ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد ويكون كرائحة المسك ، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة فإن الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك كما يجيء المكلم في سبيل الله عز وجل ورائحة دمه كذلك ، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام ، فإن كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم . وأما حديث جابر فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ، فهذه جملة حالية لا خبرية ، فإن خبر إمسائه لا يقترن بالواو لأنه خبر مبتدأ فلا يجوز اقترانه بالواو . وإذا كانت الجملة حالية فلا يبي محمد أن يقول : هي حال مقدرة ، والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها ، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا فقال : يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة . لم يكن التركيب فاسدا ، كأنه قال يمسون وهذا لهم يوم القيامة . وأما قوله « لخلوف فم الصائم حين يخلف » فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ أو تأكيد له وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازة ولا استعارته ، وهذا كما تقول : جهاد المؤمن حين يجاهد وصلاته حين يصلي يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ويرفع بها درجته يوم القيامة ، وهذا قريب من قوله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان ، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة ، وإلا فما دام مصرا وان لم يباشر الفعل فالنفي لاحق به ولا يزول عنه اسم الذم والاحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح^(٢) والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) زيادة يقتضيهما السياق .

(٢) أظن ان المصنف - رحمه الله - لم يكن دقيقا في استنباط المعنى من الحديث إذ قال وليس المراد تغيير =

وفصل النزاع في المسألة أن يقال : حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر ، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك ، كما يظهر فيه رائحة دم المكوم في سبيله كرائحة المسك ، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم ، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته ، وإن كانت تلك الرائحة كريمة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى ، وبالعكس ، فإن الناس يكرهونه لمنافرتهم طبايعهم ، والله تعالى يستطيه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبه فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا ، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية ، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر .

وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة ، وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة .

قال ابن عباس : ان للحسنة^(١) ضياء في الوجه ونورا في القلب وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب^(٢) . ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ،

= نفي الايمان المطلق عند حاله مباشرة تلك الافعال ... الخ ومنطوق الحديث لا يؤيد استنتاج المصنف .. فقد ذكر ما يدل على الظرفية فلم يقل الحديث « لا يزني الزاني وهو مؤمن .. » بل قال « لا يزني الزاني (حين يزني) وهو مؤمن » وقوله حين يزني ربطت الأمر بوقت حدوث الفعل .. وليس هذا خروج ارتداد عن الاسلام .. وإنما هو تهديد للزاني وشارب الخمر وغيرهما والمؤمن الحقيقي لا يرضى أن يعرض إيمانه لأي خطر .. والله أعلم .

(١) فيه بعض معنى قوله تعالى « سيماهم في وجوههم من اثر السجود » .
(٢) فيه أيضا بعض معنى ما ورد عن رسول الله ﷺ من أن العبد إذا عمل سيئة نكتب نقطة سوداء في قلبه ..

ومحمل معنى قول ابن عباس رضي الله عنه أن الحسنه تشرح الصدر وتقوي العزيمة ، وتفتح أبواب العمل فلا يحس المزمع بضيق أما السيئة فإنها تجلب الهم على الانسان قال تعالى « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .. وهذا أيضا بعض ما تعنيه =

وقال عثمان بن عفان : ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله رداءه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم ، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيباً ، فيظهر طيب رائحة روحه^(١) على بدنه وثيابه . والفاجر بالعكس . والمزكوم الذي أصابه الهوى لا يشم لا هذا ولا هذا ، بل زكامة يحمله على الإنكار . فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(الصدقة وآثارها)

(فصل) « وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده منهم » هذا أيضاً من الكلام الذي برهانه وجوده ، ودليله وقوعه ، فإن للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر ، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم و عامتهم ، وأهل الارض كلهم مقرون به لأنهم جربوه^(٢) .

= الآية الكريمة « .. والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً .. » ومعروف أن كل نبات يخرج بإذنه ربه ، ولا يشذ عن هذه القاعدة شيء .. فالمعنى إذن أن البلد الطيب يعيش أهله من رضا الله تعالى حيث يخرج نباتهم بإذن الله ويقتسم أو تجني ثماره حسب أوامر الله .. فيكون في ذلك الهدوء والاستقرار ، أما الذي خبث من البلاد فزرعه وثماره يتحول دائماً إلى نكد وصراع لأنه بعيد عن أوامر الله تعالى .. فتحكمه الأهواء حيثشذ - والله تعالى أعلم .

(١) أي ينتج عن صيامه .. ومرارة حلقه وجفاف حنجرتة ان تسمو روحه ويستغرق من عالم الخير .. عالم النور والروح فيعود الى مجتمعه وقد صنعه الصيام طيب الروح حسن المعاشرة .. فأصبح خلوف فم الصائم من الميزان أفضل وأطيب من المسك لأن المسك يعطر الظاهر أما الصيام فقد عطر الظاهر والباطن - وعلى هذا المعنى فإن المراد ليس خلوف فم الصائم لذاته ، وإنما المراد آثار الصيام وميزانها عند الله والله تعالى أعلم بالصواب .

(٢) ومن دفع البلاء عن الكافر بالصدقة تعجيل لثوابه على صدقته حتى إذا كان يوم القيامة لم يجد شيئاً قال تعالى « وقدمننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » وقال سبحانه « والذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد أشدت به الريح من يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء »
وأما صدقة الفاجر والظالم فلعلها تعلمه وتأخذ بيده عن ظلمه وفجوره حينها يحس انه قد استفاد من فعل الخير .. من عاجله ، فلعل هذا يفتح قلبه ويأخذ بيده إلى الحق والعدل والله أعلم .

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال « إن الصدقة تطفيء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء » وكما أنها تطفيء غضب الرب تبارك وتعالى فهي تطفيء الذنوب والخطايا كما تطفيء الماء النار . وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال : « كنت مع رسول الله ﷺ في سفر ، فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقال « الا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين ، ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وما رزقناهم ينفقون ﴾ (١) وفي بعض الآثار : باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة (٢) وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية ، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى ، فإن ذنوبه وخطاياهم تقتضي هلاكه فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفككه منه . ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد « يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن ، فاني رأيتكن أكثر أهل النار » وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار . وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » . وفي حديث أبي ذر أنه قال : سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي العبد من النار؟ قال « الإيمان بالله » قلت : يا نبي الله ، مع الإيمان عمل؟ قال « أن ترضخ مما خولك الله (٣) أو : ترضخ مما رزق الله » قلت : يا نبي الله ، فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ؟ قال « يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر » . قلت : إن كان لا

(١) سورة السجدة : ٣٢ .

(٢) رواه أبو الشيخ في الثواب وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعا وكذا رواه الصقر بن عبد الرحمن عن المختار والصقر مختلف فيه وقد قال ابن الجوزي ان الحديث موضوع ، وليس كذلك لا سيما في معناه ما أورده الديلمي عن أنس رفعه « الصدقات بالغدوات تذهب بالعاهات » والله أعلم .

(٣) ترضخ : أي تنفق .

مما خولك الله : أي مما مكنتك الله منه - يعني حسب قدرتك وإمكانيتك .

يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال « فليعن الأخرق »^(١) . قلت : يا رسول الله ، أرايت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟ قال « فليعن مظلوما » قلت : يا رسول الله ، أرايت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما ؟ قال « ما تريد أن تترك في صاحبك من خير ؟ ليمسك أذاه عن الناس » قلت : يا رسول الله ، أرايت إن فعل هذا يدخل الجنة ؟ قال « ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة » ذكره البيهقي في كتاب شعب الايمان . قال عمر بن الخطاب : ذكر لي أن الاعمال تتباهى فتقول الصدقة : أنا أفضلكم . وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد أو جُنتان من حديد قد اضطرت^(٢) أيديهما إلى ندييهما وتراقيهما ، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة أنبسطت عنه حتى تغشى أنامله ، وتعفو أثره . وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها . قال أبو هريرة : فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعه هكذا في جيبه ، فرأيته يوسعها ولا تتسع . ولما كان البخيل محبوسا عن الاحسان ممنوعا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله ، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيق العطن صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب . فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يدها إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها ، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمته كل حلقة من حلقتها موضعها . وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو .

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه ، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح وقوي فرحه وعظم سروره ، ولو لم يكن في الصدقة الا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة إليها . وقد قال تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك

(١) الأخرق : الأحمق - ضعيف العقل .

(٢) أي أغلت وربطت ، أيديها .

هم المفلحون ﴿٢﴾ ، كان عبد الرحمن بن عوف - أو سعد بن أبي وقاص - يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة : رب قني شح نفسي ، رب قني شح نفسي . فقليل له : أما تدعو بغير هذه الدعوة ، فقال : إذا وقيت شح نفسي فقد أفلحت .

والفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والاحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه ، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله وجه وإمساكه ، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله ، فالبخل ثمرة الشح والشح يدعو إلى البخل والشح كامن في النفس ، فمن بخل فقد أطاع شحه ومن لم يبخل فقد عصي شحه ووقى شره ، وذلك هو المفلح ﴿٣﴾ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿٤﴾ .

والسخي قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله ، وقريب من الجنة وبعيد من النار ، والبخيل بعيد من خلقه بعيد من الجنة قريب من النار ، فوجود الرجل يجبهه إلى أصداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده :

ويظهر عيب المرء في الناس بخله	ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فإنني	أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه
وقارن إذا قارنت حرا فإنما	يزين ويزري بالفتى قرناؤه ^(١)
وأقلل إذا ما اسطعت قولاً فإنه	إذا قل قول المرء قل خطأؤه ^(٢)
إذا قل مال المرء قل صديقه	وضاقت عليه أرضه وسماؤه

(١) سورة التغابن : ١٦ .

والآية هنا تحمي الانسان من نفسه ، فالنفس شحيحة بالخير بخيلة بالعمل الصالح فمن حفظه الله من هذا الداء ، ومكنه من التغلب على ضيق نفسه فقد نجح وأفلح .
والبخل مظهر من مظاهر الشح فالنفس الشحيحة هي التي تضيق بكل أمر ، لا يحتملها إلا الأثرة والطمع ، والشح أقرب إلى الحمق فإنه قد يستخسر الشيء من نفسه ، فلا يراها أهلاً للاستمتاع به ، بل وربما كان الشح هو كراهية الخير للنفس فيقتدر على نفسه حرصاً على المال ، ويمحرم نفسه من أطيب الطعام خوفاً من أن ينفذ ما عنده . . أما البخل فهو على الغير . . والله أعلم .

(٢) قارن : أي صادق وصاحب .

(٣) خطأؤه : أي غلطة وخطؤه .

وأصبح لا يدري وأن كان حازماً أقدمه خير له أم وراؤه
إذا المرء لم يختر صديقاً لنفسه فناد به في الناس هذا جزاؤه
وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك إلى
مستحقه بقدر الطاقة ، وليس - كما قال البعض من نقص عمله - حد الجود بذل
الموجود . ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد
الكتاب بدمهما ، وجاءت السنة بالنهي عنهما .

وإذا كان السخاء محموداً فمن وقف على حده سمي كريماً وكان للحمد
مستوجبا ، ومن قصر عنه كان بخيلاً وكان للذم مستوجبا ، وقد روي في أثر :
إن الله عز وجل أقسم بعزته ألا يجاوزه بخيل . والسخاء نوعان : فأشرفهما
سخاؤك عما بيد غيرك ، والثاني سخاؤك ببذل ما في يدك . فقد يكون الرجل
من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً ، لأنه سخا عما في أيديهم . وهذا معنى
قول بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متورعا^(٣١) .
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : أوحى الله إلى إبراهيم
ﷺ « أتدري لم اتخذتك خليلاً ؟ قال : لا . قال لأني رأيت العطاء أحب إليك
من الأخذ » . وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله فإنه يعطي ولا يأخذ
ويطعم ولا يُطعم ، وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، وأحب الخلق إليه من
اتصف بمقتضيات صفاته ، فإنه كريم يجب الكريم من عباده ، وعالم يجب
العلماء ، وقادر يجب الشجعان ، وجميل يجب الجمال .

وروى الترمذي في جامعه قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر
أخبرنا خالد بن الياس عن صالح بن أبي حسان قال سمعت سعيد بن المسيب
يقول : إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ،
جواد يحب الجود . فنظفوا أخبيبتكم ولا تشبهوا باليهود قال فذكرت للمهاجر بن
مسما قال : حدثني عامر بن سعد عن أبيه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ

(٣١) هذا هو السخاء فمن بذل ماله وانتظر من الناس فليس سخياً . لأنه حول الأمر إلى مقايضة
وتجارة والله أعلم .

الا انه قال « فنظفوا أفئيتكم » هذا حديث غريب ، خالد بن الياس يضعف .
 وفي الترمذي أيضا في كتاب البر قال : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا
 سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي
 ﷺ قال « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من
 النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ،
 ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل^(١) . » وفي الصحيح « إن الله
 تعالى وتر يحب الوتر » .

وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء ، وإنما يرحم من عباده الرحماء ،
 وهو ستر يحب من يستر على عباده ، وعفو يحب من يعفو عنهم ، وغفور يحب
 من يغفر لهم ، ولطيف يحب اللطيف من عباده ، ويغض الفظ الغليظ القاسي
 الجعظري الجواظ^(٢) ، ورفيق يحب الرفق ، وحليم يحب الحلم ، وبر يحب البر
 وأهله ، وعدل يحب العدل ، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده ،
 ويمجزي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودا وعدما ، فمن عفا عفا عنه ومن
 غفر غفر له ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه ، ومن رفق بعباده رفق به ،
 ومن رحم خلقه رحمه ، ومن أحسن إليهم أحسن إليه ، ومن جاد عليهم جاد
 عليه ، ومن نفعهم نفعه ، ومن سترهم ستره ، ومن صفح عنهم صفح عنه ،
 ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ، ومن هتكهم هتكه وفضحه ، ومن منعهم خير
 منه خير ، ومن شاق شاق الله تعالى به ، ومن مكر مكر به ، ومن خادع
 خادعه ، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا
 والآخرة . فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقته « ولهذا جاء في
 الحديث « من ستر مسلما ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن

(١) رواه الترمذي والعقيلي من الضعفاء وغيرهما عن أبي هريرة رفعه وقال الترمذي غريب ، وإنما
 يروى عن عائشة مرسلًا ، ورواه الطبراني من الأوسط بسند فيه سعيد بن محمد الوراق .
 ضعيف . عن عائشة وزاد الدارقطني « وأدوا الداء البخل » أي أشد الداء . والله أعلم .

(٢) الجعظري : بفتح الجيم وسكون المهملة وفتح الظاء المعجمة وكسر المهملة .
 الجواظ : بتشديد الواو قبلها جيم مفتوحة . هو الفظ الغليظ المتكبر المتفتخ .

مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة ،
ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه ، ومن أقال نادما أقال الله تعالى
عثرته ، ومن أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله تعالى في ظل عرشه^(١) ، لأنه لما
جعله في ظل الإنظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الأداء مع
عسرته وعجز نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش .
وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يوماً
« يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه^(٢) ، لا تؤذوا المسلمين ،
ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله
عورته يفضحه ولو في جوف بيته ، فكما تدين تدان . وكن كيف شئت فإن الله
تعالى لك كما تكون أنت وعباده . »

ولما أظهر المنافقون الاسلام وأسروا الكفر وأظهر الله تعالى لهم يوم القيامة
نوراً على الصراط وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط وأسر لهم أن يظفيء
نورهم ، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم . وكذلك من يظهر
للخلق خلاف ما يعمله الله فيه فإن الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب
الفلاح والنجاح والفوز ويبطن له خلافها . وفي الحديث « من رأى رأى الله به

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة إلى قوله « ستر الله عليه من الدنيا والآخرة وزاد :
والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . » وأما قوله « وأما قوله » ومن أنظر معسراً . . »
فحديث آخر رواه الترمذي عن أبي هريرة .

(٢) ومن آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه هم المنافقون وذلك إن كان الظاهر دأبهم والإيمان
باللسان حظهم من الدين ، قال تعالى « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . . »

وهناك حديثو العهد بالاسلام الذين نطقوا بالشهادتين ولم يستقر الإيمان في قلوبهم ، كما حدث
للأعراب الذين جاءوا يعلنون إيمانهم « قالوا آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل
الإيمان في قلوبهم . »

وسواء كان المراد بهم في الحديث المنافقين . . أو المراد بهم حديثي العهد بالإسلام . . فالعنى أن
الإيمان لم يتمكن في قلوبهم ، وقد ساق النبي ﷺ بعض المظاهر وجعلها علامة على عدم
اليقين . . وعلى تزعزع الإيمان في القلب وهذه العلامة إيذاء المسلمين وتتبع عوراتهم فكيف يكون
المؤمن مؤمناً حقاً ويؤذي إخوانه في الدين ؟
والحديث رواه الترمذي عن عبدالله بن عمر باختلاف اللفظ .

ومن سَمِعَ سمع الله به^(١) . والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي جزاء له من جنس عمله .

ذكر الله وفوائده

وقوله ﷺ « وأمركم أن تذكروا الله تعالى^(٢) ، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر^(٣) لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجا بذكره ، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه .

وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوَصع وكالذباب ، ولهذا سمي « الوسواس الخناس »^(٤) أي يوسوس في الصدور ، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي كف وأنقبض ، قال ابن عباس : الشيطان جائم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله تعالى خنس . وفي مسند الامام أحمد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء بلفظ (من سَمِعَ سمع الله به ، ومن رأى رأى الله به) وقال متفق عليه عن جندب مرفوعاً ، وأخرجه مسلم وغيره عن ابن عباس مرفوعاً ، ومن الباب عن أبي سعيد وعن ابن عمر . . ومن الزهد لابن المبارك ومسند أحمد وابن منيع عن ابن عمرو بن العاص .

(٢) استمرار لشرح حديث الحارث الذي سبق ذكره .

(٣) يفتر لسانه أي يضعف .

(٤) طائر أصغر من العصفور ويقال وضع بفتح الصاد وسكونها ولجمع وصعان .

(٥) الخناس : فسر بعد ذلك - أقول لعله فيه معنى الاصرار على الظهور والضعف على الاستمرار . . فهو كالفأر لا يكف عن الخروج من حجره حينما تحين الفرصة . . فإذا أحس بحركة خفيفة عاد مسرعاً . . والله أعلم .

ذكر الله عز وجل « وقال معاذ : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال « ذكر الله عز وجل^(١) » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال « سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفردون^(٢) » . قيل : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة » وفي رواية الترمذي « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة^(٣) ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » .

وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنها شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » وفي الترمذي عن عبد الله بن بشر أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها ، فأخبرني بما شئت أتشبت به ولا تكثر عليّ فأنسى . وفي رواية : أن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، وأنا كبرت ، فأخبرني بشيء أتشبت به . قال « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وفي الترمذي أيضاً عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ سئل : أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال « الذاكرون الله كثيراً » قيل : أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال « الذاكرون الله كثيراً » قيل : يا

(١) رواه الامام أحمد بسند حسن وابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه وقال الحاكم صحيح الاسناد . وقال المنذري إسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً .

(٢) المفردون : بتشدد الراء على صيغة اسم الفاعل من الثلاثي المزيد بالتضعيف . أي السابقون بذكر الله كما فسره الحديث .

(٣) ترة مثل عدة وصلة : أي نقص وتبعة .

رسول الله ، ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال « لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويختصب دما كان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة (١) » .

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تبارك وتعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذرعاً ، وإن تقرب إلى ذرعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة (٢) » وفي الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال « حلق الذكر » (٣) .

وفي الترمذي ايضاً عن النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول « ان عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه (٤) » ، وهذا الحديث هو فصل الخطاب والتفصيل بين الذاكر والمجاهد ، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل ، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى . فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ

(١) قال الترمذي حديث غريب ، ورواه البيهقي مختصراً .

(٢) معناه أن الله تعالى يعين العبد على الطاعة ويقبل عليه بالرضوان . بشرط أن يتوفر له النية للطاعة ويظهر منه الجهد من سبيلها قال تعالى « ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

(٣) حلق الذكر : أي الجماعة من العلماء أو من الناس يجلسون فيذكرون الله تعالى فإذا جلس المختصون لبحثوا في مسألة ليتبينوا حكم الله فيها . . فذلك حلق الذكر وإذا اجتمع قوم يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر ، كان ذلك من حلق الذكر - وليس حلق الذكر تلك الصفوف التي تتمايل على أناشيد المنشدين وطرقات الطبول والتصفيق فهذه بدع مسترذلة .

(٤) قوله : كل عبدي أي الذي تجرد للعبودية لله تعالى ولم يدع لأحد سبيلاً عليه فلم يوال الهوى والشيطان ، ولم يخرج همة للسطوة والسلطان ، وإنما الذي خرج في سبيل الله لاعلاء كلمة الله . . ولدحر الباطل . .

قرنه : أي نده ونظير . . والمقصود خصمه العنيد .

كثيراً لعلكم تفلحون ﴿^(١) فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معا ليكونوا على رجاء من الفلاح ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ ^(٣) أي كثيراً وقال تعال : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً ﴾ ^(٤) ، ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له وكان خسارانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله . وقال بعض العارفين : لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاتته أعظم مما حصله .

وذكر البيهقي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال « ما من ساعة تمر بأبن آدم لا يذكر فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة » ^(٥) . وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضاً « ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها » .

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ « كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله عز وجل » ^(٦)

(١) سورة الأنفال : ٤٥ .

(٢) سورة الأحزاب : ٤١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٣٥ .

(٤) سورة البقرة : ٢٠٠ .

(٥) وسبب الحسرة هو ما فاتته من الرفعة في الدرجات .

(٦) الحديث .

ومعنى « عليه لا له » ان سيحاسب عليه ويقتص منه بسبب . . قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » وقال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم » فجعل صلاح الحال والأعمال متعلقاً بتقوى الله والقول السديد . . وقال سبحانه « قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم » أي على المؤمنين أن يلتزموا القول الحسن دائماً . . لأن الشيطان ينتهز أي فرصة لكلمة خبيثة تخرج فيتعلق بها ويدفعكم إلى السوء والفحشاء بسببها . . . والله أعلم . .

وعن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل » . وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : لكل شيء جلاء ، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل . وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول « لكل شيء صقالة ، وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل . وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل » قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال « ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » .

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وجلاؤه بالذكر ، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء . فإذا ترك صديء ، فإذا جلاه . وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر .

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدأه بحسب غفلته ، وإذا صديء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عليه الصدأ اظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه . فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقا ولا ينكر باطلا . وهذا اعظم عقوبات القلب^(١) .

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنها يطمسان نور القلب ويعميان بصره ، قال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ .

فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فليُنظر : هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي . فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً . ومعنى الفرط قد فسر

(١) يؤيد ذلك ما رواه الترمذي والنسائي وغيرهما : عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن النبي ﷺ سقل قلبه ، وإن زاد زادت فذلك قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . . .

بالتضييع^(١) ، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشدته وفلاحه ضائع قد فرط فيه ، وفسر بالاسراف أي قد أفرط ، وفسر بالاهلاك ، وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة ، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهي عن طاعة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجدته كذلك فليبعد منه . وإن وجدته ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بفرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت . وفي المسند مرفوعاً « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون » .

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة :

- (إحداها) أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .
- (الثانية) أنه يرضى الرحمن عز وجل .
- (الثالثة) أنه يزيل الهم والغم عن القلب .
- (الرابعة) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .
- (الخامسة) أنه يقوى القلب والبدن .
- (السادسة) أنه ينور الوجه والقلب .
- (السابعة) أنه يجلب الرزق .
- (الثامنة) أنه يكسو الذافر المهابة والحلاوة والنضرة .
- (التاسعة) أنه يورثه المحبة التي هي روح الاسلام وقطب رحى الدين

(١) فرطاً من الافراط من الشيء وهو المبالغة فيه .
وأمره فرط أي مبالغ من اتباع الهوى . أو فرطاً بمعنى عدم التماسك وذلك بسبب اتباع الهوى . .
والله أعلم .

ومدار السعادة والنجاة . وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر . فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فانه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم ، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراتها الاقوم .

(العاشرة) أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الاحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

(الحادية عشرة) أنه يورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله ، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه ، وملاذه ومعاده ، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .

(الثانية عشرة) أنه يورثه القرب منه ، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه ، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه .

(الثالثة عشرة) أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة .

(الرابعة عشرة) أنه يورثه الهيبة لربه^(١) عز وجل وإجلاله ، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى ، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه .

(الخامسة عشرة) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كم قال تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾^(٢) ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً ، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،

(١) الهيبة لله تعالى : تعني الاحساس بعظمته تعالى ، فيتولد الرجاء من رحمته والخوف من عقابه . . . ومن أحس بالهيبة لله استشعر العزة من نفسه ، ولم يهب أحداً من خلقه فمن كان عبداً للملك الملوك فلن يخضع لغيره ، كما أن المهابة تجعل للعبادة لذة لاتدانيها لذة .

(٢) سورة البقرة : ١٥٢ .

ومن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منهم»

(السادسة عشرة) أنه يورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

(السابعة عشرة) أنه قوت القلب والروح^(١) ، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته . وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ، ثم التفت إليّ وقال : هذه غدوتي ، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي . أو كلاماً قريباً من هذا . وقال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته لأستعد بتلك الراحة للذكر آخر . أو كلاماً هذا معناه .

(الثامنة عشرة) أنه يورث جلاء القلب من صده كما تقدم في الحديث ، وكل صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوى ، وجلأؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى .

(التاسعة عشرة) أنه يحط الخطايا ويذهبها . فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهب السيئات .

(العشرون) أنه يزيل الوحشة^(٢) بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى ، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر .

(الحادية والعشرون) أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسيبحة وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة ، فقد روى الإمام أحمد في المسند

(١) قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يبيحكم » والحياة هنا بالذكر واتباع القرآن والله أعلم .

(٢) وكيف يستوحش من يعيش في الذكر ، قال تعالى « فاذكروني أذكركم » فهو إن اسوحش من الخلق فلن يستوحش من الحق . وكيف وهو مذكور في الملاء الأعلى ، ولهذا فإنه يحس بالأنس في نفسه . . والطمأنينة تملأ قلبه كما قال تعالى « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا يذكر الله تطمئن القلوب » .

عن النبي ﷺ أنه قال « إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لمن دوي كدوي النحل يذكرون بصاحبهن . أفلا يجب أحدكم أن يكون له ما يذكر به » ؟ هذا الحديث أو معناه .

(الثانية والعشرون) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة ، وقد جاء أثر معناه أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة : يارب صوت معروف ، من عبد معروف ، والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة : يارب ، صوت منكر ، من عبد منكر^(١) .

(الثالثة والعشرون) أنه ينبغي من عذاب الله تعالى ، كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعا « ما عمل آدمي عملا أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى^(٢) .

(الرابعة والعشرون) أنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي ﷺ^(٣) .

(الخامسة والعشرون) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل . فإن العبد لا بد له من أن يتكلم . فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى . والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٤) .

(١) لعل المراد - إذا صح الأثر - أن صوت العابد الطائع متوافق مع الملائكة الأعلى فيطيع فيه . أما العاصي فنداؤه منكر لا تألفه الملائكة . إذ يسمعون أنين المحتاج ولا يسمعون فيه ربح الطاعة فيتكرونه والله أعلم .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن جابر بن عبد الله ورجاله رجال الصحيح ، كما رواه مالك عن معاذ .

(٣) الحديث « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » أو كما قال .

(٤) قريب من هذا ما قاله ابن عطاء الله السكندري في الحكم : « نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك =

(السادسة والعشرون) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة ومجالس الشياطين . فليتحير العبد أعجبها إليه وأولاهما به ، فهو مع اهله في الدنيا والآخرة .

(السابعة والعشرون) أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جلسه ، وهذا هو المبارك أين ما كان . والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه .

(الثامنة والعشرون) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة . فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .

(التاسعة والعشرون) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه ، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف . وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل^(١) .

(الثلاثون) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين ، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « قال سبحانه وتعالى : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » .

(الحادية والثلاثون) أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلها وأفضلها ، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ، ولو تحرك عضو من الانسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك^(٢) .

(الثانية والثلاثون) أنه غراس الجنة ، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لقيت ليلة أسرى بي

= بالباطل » وكذلك من لم يعود لسانه على الذكر والطيب من الكلام فإنه ينفلت منه إلى الخيث والعياذ بالله .

(١) يشير إلى حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه وفيه : « ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

(٢) ونسب إلى ضرورة استحضر القلب مع الذكر حتى يحقق الغاية من الذكر وهي اطمئنان القلوب .

إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : يا محمد أقريء أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» قال الترمذي حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود .

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » قال الترمذي حديث حسن صحيح .

(الثالثة والثلاثون) أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه . ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر»⁽¹⁾ . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » .

وفي الترمذي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعة من النار . ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار . ومن قالها أربعاً أعتقه الله تعالى من النار» . وفيه عن

(1) ليس في هذا فتح لباب التكاسل أو تسهيلات للخطيئة . كما يظن بعض الناس . . . فيتخذها باباً للخطأ على أن هناك وسيلة المحو . . .
والحديث بيان لعظمة فضل الله على المؤمنين .

ثوبان أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يمسي وإذا أصبح : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا ، كان حقا على الله أن يرضيه » وفي الترمذي « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ».

(الرابعة والثلاثون) أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها ، قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ (١) وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بد كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك ومما صلاحه وفلاحه بتعاوده والقيام عليه ، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنه يفسد ولا بد . هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه ، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاتها وترك القيام عليها بما يصلحها ، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان . وهذا هو الذي صار أمره كله فُرطا فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه ، وأحاطت به أسباب القطوع والخبية والهلاك .

ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى والاهتمام به ، وأن لا يزال اللسان رطبا به ، وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها ومنزلة غذائه الذي إذا فقدته فسد جسمه وهلك ، وبمنزلة الماء عند شدة العطش ، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد وبمنزلة الكفن في شدة الشتاء والسموم (٢) .

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم ، فأين هلاك

(١) سورة الحشر : ١٩ .

وأنساهم أنفسهم أي ضلوا عما يصلحها ، وغفلوا عن الإعداد للأخرة فعاشوا في حيرة وضلال وضحك .

(٢) السموم .. بفتح المهملة .

الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟ هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح لا بد ، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . في فوائد الذكر وادامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفي بها ، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾^(١) أي تنسى في العذاب كما نسيت آياتي فلم تذكرها ولم تعمل بها . وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله ، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه ، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى ، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل أو مضاف إضافة الأسماء المحضة ، أعرض عن كتابي ولم يتله ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه ، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقه عليه منكدة معذبا فيها .

والضنك الضيق والشدة والبلاء . ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة ، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ ، فإنه يكون في ضنك في الدارين ، وهو شدة وجهد وضيق . وفي الآخرة تنسى في العذاب . وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب .

قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ فهذا في الدنيا ، ثم قال : ﴿ ولنجزيم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾^(٢) فهذا في البرزخ والآخرة . وقال تعالى : ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا

(١) سورة طه : ١٢٤ وما بعدها .

(٢) سورة النحل : ٩٧ .

يعلمون ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن اسغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ (٢) فهذا في الآخرة . وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٣) فهذه أربعة مواضع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين : جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة .

فالإحسان له جزاء معجل ولا بد ، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد . ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته (٤) .

وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه . وما يجازي به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه (٥) وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه ، بل الغموم والمهموم والاحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار ذنوبية وجهنم حاضرة ، والاقبال على الله تعالى والانابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة .

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة . وقال لي مرة : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحمت فهي معي لا تفارقني ، إن حسبي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة . وكان يقول في محبته في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة . أو

(١) سورة النحل : ٤١ .

(٢) سورة هود : ٣ .

(٣) سورة النحل : ٢٨ وما بعدها .

(٤) قد سقط من هنا جواب لو . . . وتقديره : لصار من ذلك الكفاية . .

(٥) خبر قوله « وما يجازي به المحسن » يعلم من القرينة في الجملة .

قال ما جزيتهم على ما تسبوا لي فيه من الخير، ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله » وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى . والمأسور من أسره هواه . ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : ﴿ فضرِبَ بينهم بسور له باب باطنة فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب ﴾ ^(١) وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدرأً ، وأقواهم قلباً ، وأسرهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه . وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاعت بنا الأرض أتيانه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة و يقينا وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فاتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف . وقال آخر : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيّب ما فيها ؟ قيل : وما أطيّب ما فيها ؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره . أو نحو هذا . وقال آخر : إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً . وقال آخر : إنه لتمرّ بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين ، وحياة العارفين . وإنما تقرّ عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين ، ومن لم تقرّ عينه

(١) سورة الحديد : ٣١ .

بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات^(١) .

وإنما يصدق هذا من في قلبه حياة ، وأما ميت القلب فيوحشك ما له ثم ، فاستأنس بغيبته ما أمكنك ، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك ، وترحل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشغل به عما هو أولى بك . واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجز عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه ، وضياع وقتك ، وضعف عزيمتك ، وتفرق همك .

إذا بليت بهذا - ولا بد لك منه - فعامل الله تعالى فيه واحتسب عليه ما أمكنك ، وتقرب إلى الله تعالى بمرضاته فيه ، واجعل اجتماعك به متجراً لك لا تجعله خسارة وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره ، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك ، فإن أبى ولم يكن في سيره مطمع فلا تقف معه بلا ركب الدرب] [٢] ودعه ولا تلتفت إليه فإنه قاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضمن بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزل فتؤخذ أو يطلع الفجر] [٣] أنى لك بلماقهم .

(الخامسة والثلاثون) أن الذكر يسير العبد^(٣) هو في فراشه وفي

(١) لأنه يراها لا تستقر على حال فإن أصابه فيها خير لا يلبث أن ينقطع عنه ، وإن أصابه شر فإنه لا يدوم . فصاحب الدنيا إذا أصابه الخير فهو في حزن خوفاً من أن يزول ، وإن أصابه السوء فهو من حزن دائم كلما طال به . . . وأما المؤمن الذي أحضر قلبه الهيبة من الله وتعظيم أوامر الله والرجاء في ثوابه فقد بين النبي ﷺ حاله في حديث ما معناه « عجباً لأمر المؤمن !!! إن أمره كله له خير - وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان

خيراً له »
(٢) [] بياض بالأصل . وفي طبعة مكتبة القاهرة (فلا تُعَنَّ بالوقوف معه ودعه ولا تلتفت إليه . . .)

(٣) لعله « أن الذكر يسير للعبد » .

والمصنف يشير إلى قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . . . » فذكر الله يستغرق حياة المؤمن جميعها . . . فالعامل إذا أخلص نيته من عمله وقصد وجه الله تعالى من وظيفته ، وإذا جلس مع أولاده أو أصدقائه قاصداً وجه الله تعالى بالدعوة إلى الخير أو العمل على =

سوقه وفي حال صحته وسقمه ، وفي حال نعيمه ولذته ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، حتى يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ، ويصبح ذلك الغافل في ساقية الركب^(١) ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وحكى عن رجل من العباد أنه نزل برجل ضيفا فقام العابد ليله يصلي وذلك الرجل مستلق على فراشه ، فلما أصبحا قال له العابد : سبقك الركب ، أو كما قال . فقال : ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب ، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد ، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل ، وإنما محمله أن هذا المستلقي على فراشه علق بربه عز وجل ، وألصق حبة قلبه بالعرش وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا ومن فيها ، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه وفي قلبه ما الله تعالى به عليم . وآخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم ، أو قلبه في واد وجسمه في واد . فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة ، فالعمل على القلوب لا على الأبدان ، والمعمل على الساكن ويهيج الحب المتوارى ويبعث الطلب الميت .

الذكر وحقيقة النور الإلهي

(السادسة والثلاثون) أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ، ونور له في معاده يسعي بين يديه على الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور

= الاستقرار .. بل حتى إذا نام على ذكر الله تعالى وقراءة لبعض آيات القرآن الكريم .. فكل ذلك يجعل من المؤمن ذاكرة لله تعالى في كل وقت « قياماً وقعوداً وعل جلوبهم » .

وعلى هذا فالذكر معناه أوسع من مجرد التردد اللساني إذ يشمل الاستحضار القلبي والذهني وصدق الله والله أعلم .

(١) ساقية الركب : المؤخرة .

بمثل ذكر الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ (١) فالأول هو المؤمن استنار بالآيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره ، والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته ، والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور ، والشقاء كل الشقاء في فواته . ولهذا كان النبي ﷺ يبألع في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وعصبه وشعره وبشره وسمعه وبصره ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه ، حتى يقول « واجعلني نوراً » (٢) فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذراته الظاهرة والباطنة ، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته ، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً ، فدين الله عز وجل نور ، وكتابه نور ، ورسوله نور ، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلأأ ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض ، ومن أسمائه النور ، وأشرقت الظلمات لنور وجهه . وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك . لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » (٣) وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السماوات من نور وجهه . ذكره عثمان الدارمي وقد قال تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ (٤) فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده وأشرقت بنوره الأرض ، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر ، فإن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما ، وحجابه تبارك وتعالى النور .

قال ابو موسى : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال « إن الله لا ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه ، عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره

(١) سورة الانعام : ٢٢١ .

(٢) الحديث رواه أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) الحديث ذكر عندما طارد اهل الطائف النبي ﷺ فاستجار بربه .

(٤) سورة الزمر : ٦٩ .

من خلقه» (١) ثم قرأ ﴿ أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ (٢) . فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لاحتسرت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره . ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئا يسيراً ساخ الجبل في الارض وتددكك ولم يقم لربه تبارك وتعالى . وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تدركه الابصار ﴾ : قال : ذلك الله عز وجل ، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء . وهذا من بديع فهمه رضي الله تعالى عنه ودقيق فطنته ، كيف وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله التأويل (٣) ، فالرب تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا ، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له ، وأن رآته فالادراك أمرٌ وراء الرؤية ، وهذه الشمس - والله المثل لأعلى - نراها ولا ندرکہا كما هي عليه ولا قريبا من ذلك ، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله وأورد عليه ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ فقال : أأست ترى السماء ؟ قال : بلى . قال : أفأندرکہا ؟ قال : لا . قال : فالله تعالى أعظم وأجل (٤)

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلا لا يعقله إلا العالمون

(١) الحديث رواه مسلم وابن ماجه .

(٢) سورة النحل : ٨ .

(٣) روى الشيخان ان النبي ﷺ قال له : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

(٤) قال الامام رشيد رضا رحمه الله تعالى « كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والأحاديث الواردة من صفات الرب تعالى وينكرون على علماء الأثر بطواهرهم مع التنزيه والتفويض حتى إن الأشعرية الذين أرادوا أن يكونوا وسطا بين غلاة النظار من الجهمية وغيرهم وبين أهل الحديث كالحنابلة قد بالغ بعضهم في التأويل حتى صار الخلاف بينهم وبين غلاة النظر لفظيا والباعث لهم على ذلك محاولة تطبيق النصوص على نظريات الفكر التي عدوا الكثير منها قطعيا وليس بقطعي ، وبحمد الله تعالى أن العلوم الكونية قد نقضت في هذا العصر أكثر تلك النظريات الفلسفية اليونانية وقريب نصوص الكتاب والسنة من الأهمام ٧٠ أ . هـ .

وقد ورد من صحيح مسلم مرفوعا : « نور أن أراه » فهو سبحانه نور . . (أن أراه) يحتتمل أن يكون معناه على الاستفهام أي كيف أراه ؟ ويحتتمل أن يكون معناه على الخير فيكون « نور من كل مكان أراه » .

والعجيب أن مفكري المسلمين انساقوا خلف الفكر اليوناني وحاولوا أن يخضعوا القرآن لمفردات هذا الفكر فأدخلوا على الفكر الاسلامي ما ليس منه ، فوجدنا نظريات العقل الكلي والفيض الإلهي من الخلق وأجهدوا أنفسهم للتوفيق بين العقل والدين فلم يخدموا الشريعة . ولم يدركوا الفلسفة . . .

فقال سبحانه وتعالى: ﴿الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كإنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء. ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾^(١) قال أبي بن كعب: مثل نوره في قلب المسلم.

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبهه والايان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر. فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين ايديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطي نوراً على إبهام قدمه يضيء مرة وبطفاً أخرى إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا فأعطى على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عياناً، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا بل كان نوره ظاهراً لا باطناً أعطى نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب.

وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج

(١) سورة النور: ونلمس في الآيات المباركة كيف تنزل إلينا في عالمنا ثم تسمو بنا إلى الأفاق الروحانية، وتطوف بنا بين عالم الغيب والشهادة. وانظر إلى مثل نوره « كمشكاة » وهي الطاقة في الحائط .. فيها مصباح .. وهنا نجد أن الآية تعيش معنا عالمنا .. عالم الشهادة، المصباح في زجاجة .. الزجاج .. لازالت الآية في عالم الشهادة .. ولكنها تصعد بنا إلى عالم الأفلاك السيارة .. الزجاج كإنها كوكب دري ... وهكذا يسبح بنا الفكر لخلق مع النور الإلهي أو بتعبير أدق مع المثل .. للنور الإلهي .. ثم تنزل الآية بنا إلى عالمنا فالكوكب الدرّي يوقد من شجرة زيتونة وهي مباركة .. لا شرقية ولا غربية .. يكاد زيتها يضيء .. وفي النهاية تأخذ دوامات النور وطبقاته .. وسبحان النور الإلهي .. فلا نملك إلا أن نقف خاشعين أمام الآية « نور على نور » .. سبحانه وتعالى ليس كمثلته شيء نسأله أن يهدينا لنوره ...

وحتى شبهت بالكوكب الدرّي في بياضه وصفائه وهي مثل القلب ، وشبهه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافا هي في قلب المؤمن وهي الصفاء والرقة ، فيرى الحق والهدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة بركته ، وبجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشدّد في الحق ويصلب فيه بصلابته ، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها ، بل تساعد وتعاضدا ، ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ وفي اثر « القلوب آية الله تعالى في أرضه ، فأحبها إليه وأرقها وأصلبها وأصفاها »^(١) وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض :

أحدهما : قلب حجري قاس لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بر ، ولا له صفاء يرى به الحق ، بل هو جبار جاهل : لا علم له بالحق ، ولا رحمة للخلق .

وبإزائه قلب ضعيف مائي لا قوة فيه ولا استمساك ، بل يقبل كل صورة ، وليس له قوة حفظ تلك الصور ولا قوة التأثير في غيره ، وكل ما خالطه أثر فيه من قويّ وضعيف ، وطيب خبيث .

وفي الزجاجة مصباح ، وهو النور الذي في الفتيلة ، وهي حاملته .

(١) أخرجه الطبراني عن أبي عتبة الخولاني رفعه بلفظ « إن لله وآنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه أليتها ، وأرقها » ومن سنده بقيه بن الوليد يدلّس ولكنه صرح بالتحديث . وروى « القلب بيت الرب » قال الزركشي والسخاوي والسيوطي : لا أصل له . قال النجم : قلت رواه ابن ماجه عن أبي عتبة بلفظ « إن لله وآنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه أليتها وأرقها » وهو شاهد لما هو دائر على السنة الصوفية وغيرهم : « ما وسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن » . وقد أشير أن معناه في الاسرائيليات : فقد أخرج أحمد الزهد عن وهب بن منبه : قال إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يارب ، فقال الله إن السموات والأرض ضعفن عن أن يسّ عني ، ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين . وقيل إنه حديث باطل وإنه من وضع الملاجدة وكثر ما يرويه المتكلم على رؤس العوام « علي بن وفا » لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص : طوفوا ببيت ربكم ، والله أعلم .

ولذلك النور مادة ، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره ، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر ، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار ، فهذه مادة نور المصباح .

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف ، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها ، لم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية ، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء ، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن .

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه ، ثم خالط النار فاشتدت بها اضاءته وقويت مادة ضوء النار به ، كان ذلك نوراً على نور . وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه ، فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه وخالطت بشاشته فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه ، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فيكاد ينطق بالحق وان لم يسمع فيه أثر ، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته فيكون نوراً على نور ، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً ، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة .

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة . فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض ، ونوره في قلوب عباده المؤمنين ، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب ، والنور المحسوس المشهود بالابصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي ، فهما نوران عظيمان أحدهما أعظم من الآخر ، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعيش فيه آدمي ولا غيره ، لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور ، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة ، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ميتة وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد ، لا حياة له البتة ، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه .

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور كما في قوله عز وجل ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾^(١) وكذلك قوله عز وجل : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبدنا ﴾^(٢) وقد قيل إن الضمير في « جعلناه » عائد إلى الامر ، وقيل إلى الكتاب ، وقيل إلى الإيمان ، والصواب أنه عائد إلى الروح أي جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً ، فسماه روحاً لما يحصل به من الحياة ، وجعله نوراً لما يحصل به من الاشراق والاضاءة ، وهما متلازمان فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الاضياء والاستنارة ، وحيث وجدت الاستنارة والاضياء وجدت الحياة ، فمن لم يقبل هذا الروح فهو ميت مظلم كما أن المائي ، والناري . لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الاشراق والنور ، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾^(٣) وقال : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم لان النار فيها الاحراق .

وكذلك حال المنافقين : ذهب نور إيمانهم بالنفاق ، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، قلوبهم قد صليت بحرماً وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطلع على الافئدة . فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به . وهو حال المنافق عرف ثم أنكر ، وأقر ثم جحد ، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ ومثل

(١) سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٢) سورة الشورى : ٥٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

(٤) سورة الانعام : ٣٩ .

الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴿١﴾ وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله، لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرآن ومشاهدتهم أعلام الاسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانا، ولهذا قال تعالى في حقهم ﴿فهم لا يرجعون﴾ إليه، لأنهم فارقوا الاسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون إليه.

وقال تعالى في حق الكفار ﴿فهم لا يعقلون﴾ لأنهم لم يعقلوا الاسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به ولا يزالون في ظلمات الكفر، صم بكم عمى، فسبحان من جعل كلامه لأدواء^(٢) الصدور شافيا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديا، وإلى الحياة الابدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى الطريق الرشاد هاديا. لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانا واعية، وشفقت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبا خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل فلم تصنع بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة، «وما لجرح بميت إيلام»^(٣).

والمثل الثاني قوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾^(٤) الصيب انظر الذي يصب من السماء أي ينزل منها بسرعة وهو مثل القرآن الذي به حياة القلوب كالمطر الذي به حياة الارض والنبات

(١) سورة البقرة : ١٧١ .

(٢) أدواء جمع داء .

(٣) هنا بياض الأصل .

(٤) سورة البقرة : ١٩ .

والحيوان ، فأدرك المؤمنين^(١) ذلك منه ، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لا تخطر لها ، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلثات التي حذر الله بها من خالف أمره ، وأخبر أنه منزلها بمن كذب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها فهي كالظلمات والرعد والبرق ، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق ، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب .

وأما المنافق فإنه عمي قلبه لم يجاوز بصره الظلمة ولم ير إلا برقاً يكاد يخطف البصر ، ورعداً عظيماً وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه ، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره فهو خائف أن يخطف معه بصره ، لأن بصره أضعف من أن يثبت معه ، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف ، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه ، وأن فقد الضوء قام متحيراً لا يدري أين يذهب ، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات وحياته هو في نفسه ، بل لا يدرك إلا رعداً وبرقاً وظلمة ولا شعور له بما وراء ذلك ، فالوحشة لازمة له ، والرعب والفرع لا يفارقه ، وأما من أنس بالصيب وعلم أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، أستأنس بذلك ولم يستوحش منه ، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت

(١) من طبعة مكتبة القاهرة (فأدرك المؤمنون) على أنها فاعل ، وهي هنا مفعول به مقدم (فأدرك المؤمنين ذلك) وذلك هي الفاعل وأيضاً « وعلموا ما يحصل به من الحياة لا خطر لها » وواضح أن المعنى غير مستقيم .

ولعل الصواب « وعلموا ما يحصل به من الحياة فلا خطر لها » أي لما بصاحب ظواهر المطر من برق وغيره كما سيوضح بعد قليل . والله أعلم

حكيمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء ، حكمة بالغة وأسبابا منتظمة نظمها العزيز الحكيم . فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ما وراءه فاستوحش بما أنس المؤمنين ، وارتاب بما اطمأن به العالمون ، وشك فيما يتقيه المبصرون العارفون ، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة ، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد ، وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد .

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية^(١) ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ، حالت فيها وصالت ، وقامت بها وقعدت ، واتسع فيها مجالها ، وكثر بها قيلها وقالها ، فملأت الاسماع من هذيانها ، والارض من دواوينها ، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم والمحامين عن حوزتهم والمقاتلين تحت ألويتهم والمكثرين لسوادهم . ولعموم البلية هم وضرر القلوب بكلامهم هتك الله أستارهم في كتابه غاية اهتك وكشف أسرارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، ولم يزل عز وجل يقول : ﴿ ومنهم .. ومنهم .. ومنهم ﴾^(٢) حتى انكشف أمرهم ، وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين ، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات ، وفي أوصاف الكفار آيتين ،

(١) أحسن المؤلف رحمه الله في بيان المثل القرآني وكيف أن القرآن من عطائه للمؤمنين كالمنطق من عطائه لأصحاب الأرض الزراعية ، أما ضعفاء الحول أغبياء العقل فهم لا يرون من المنطق إلا رعد وبرق وظلمه سحبه ، وكذلك الكفار والمنافقون لا يرون من القرآن إلا جانباً يتفق مع نفوسهم المريضة وعقولهم الواهية فيشككون ويتخوفون ، ولكن شكوكهم لا تعدو أن تكون مجرد انعكاس لمرضهم فهي حجة عليهم ، وليست طعنا في القرآن والباحث من هذه الشكوك يجد أنها لا تعدو عدة نقاط يتقاذفها أهل الباطل فيما بينهم جيلا بعد جيل فلم يختلف ما يقوله المستشرقون واعوانهم في عصر العلم والتقدم عما قاله أبو جهل وأميه بن خلف من سفهاء القوم أيام الجاهلية . . . هذا ولتوجيه المثل القرآني وجهات أخرى والله أعلم .

(٢) لعل المصنف يشير إلى ما جاء عن المنافقين في سورة التوبة .

وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية ، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم ، فإنهم من الجلدة ، مظهرون الموافقة والمناصرة ، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة وأظهر السريرة ودعالك بما أظهره إلى مزايسته ومفارقته .

ونظير هذين المثليين المذكورين في سورة الرعد في قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ﴾ ^(١) فهذا هو المثل المائي شبهه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء ، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل ، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماء كثيراً ، وقلب صغير كواد صغير يسع علماً قليلاً ، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها ، كما سالت الأودية بقدرها . ولما كانت الأودية ومجري السيول فيها الغناء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفوا على وجه الماء زبداً عالياً ، يمر عليه متراكباً ، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض ، فيقذف الوادي ذلك الغناء إلى جنبتيه حتى لا يبقى الماء الذي تحت الغناء يسقي الله تعالى به الأرض فيحیی به البلاد والعباد والشجر والدواب ، والغناء يذهب جفاءً يجفي ويطرح على شفير الوادي .

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته فأثار منها بسبب مخالطتها لها ما فيها من غناء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة يطفو في أعلاها ، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب فلا يزال ذلك الغناء والزبد يذهب جفاءً ويزول شيئاً فشيئاً حتى يزول كله ، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون ^(٢) .

وفي الصحيح من الحديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء

(١) سورة الرعد : ١٧ .

(٢) أي ينحدون منها المرعى .

ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات .

(الطبقة الاولى) ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهؤلاء أتباع الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - حقاً ، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبت الكلاً والعشب الكثير ، فزكت في نفسها وزكا الناس بها . وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ واذكروا عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ (١) ، [أي] البصائر في دين الله عز وجل ، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف ، وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه ، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل ، ففجرت من النصوص أنهار العلوم واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيها فهماً خاصاً ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - وقد سئل : هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال :- لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتاه الله عبداً في كتابه (٢) .

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلاً والعشب الكثير الذي أنبته الأرض ، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن .

(الطبقة الثانية) فإنها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها ، فوردها الناس وتلقوها منهم ، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها ويذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ووردها كل بحسبه ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ (٣) وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ « نضر الله امرءاً سمع

(١) ليس المذكورون في الآية ورثة الأنبياء وإنما هم أنبياء ، ولعل المصنف قد أراد أن يبين أن ورثة الأنبياء يتصفون ببعض صفات الأنبياء ولهذا أورد الاستدلال بالآية والله أعلم .

(٢) رواه الامام أحمد والبخاري وأبو داود . . . عن أبي جحيفة .

(٣) سورة ص : ٤٥ .

مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١) وهذا عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثا الذي يقول فيه « سمعت ، ورأيت » وسمع الكثير من الصحابة وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علما وفقها . قال أبو محمد بن حزم : وجمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار . وهي بحسب ما بلغ جامعها ، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر^(٢) ، وفقه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس . وقد سمع كما سمعوا ، وحفظ القرآن كما حفظوا ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾^(٣) وأين تقع فتاوي ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوي أبي هريرة وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه بل هو حافظ الأمة على الاطلاق ، يؤدي الحديث كما سمعه ، ويدرسه بالليل درساً فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وبلغ ما حفظه كما سمعه ، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط ، وتفجير النصوص ، وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها .

وهكذا الناس بعده قسمان .

(قسم حفاظ) معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا . ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه . وقسم معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص ، والتفقه فيها . فالأول كأبي زرعة وأبي حاتم وابن دارة . وقبلهم كبندار محمد بن بشار وعمرو الناقد وعبد الرزاق ، وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والانتقان

= وهي في بني إسرائيل إذ أمر الله موسى أن يضرب بعصاه الحجر فانيجست منه اثنتا عشرة عينا . . .

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود .

(٢) لا يماري أحد في علم ابن عباس رضي الله عنها ، ولا من حسن استنباطه إلا أنه رضي الله عنه كان كثير النقل من الإسرائيليات .

(٣) سورة الحديد : ٢١ .

والضبط لما سمعوه ، من غير استنباط وتصرف وأستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص .

(والقسم الثاني) كمالك والشافعي والاوزاعي وإسحق والإمام أحمد بن حنبل والبخاري وأبي داود ومحمد بن نصر المروزي - وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقهاء إلى الرواية - فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسا .

وأما (الطائفة الثالثة) - وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدي الله ولم يرفعوا به رأسا - فلا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية .

(فالطبقة الأولى) أهل رواية ودارية .

(والطبقة الثانية) أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية ، بل حظهم من الرواية أوفر .

(والطبقة الثالثة) الأشقياء لا رواية ولا دارية ولا رعاية ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾^(١) ، فهم الذين يضيقون الديار ، ويغلون الأسعار ، إن همة أحدهم إلا بطنه وفرجه ، فإن ترقت همته كان همه - مع ذلك - لباسه وزينته ، فإن ترقت همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية ، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس [الغضبية كان همه في نصرة النفس] الكلبية فلم يعطها ، إلى نصرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء^(٢) فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية .

فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والقدرة ، والسبعية لا تقنع بذلك بل يقهر النفوس ، تريد الاستيلاء عليها بالحق والباطل . وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمردت إلى الرفيق الأعلى ، فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله

(١) سورة الفرقان : ٤٤ .

(٢) العباد الأصلية « ... كانت في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية قد ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية إلى نصرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء فإن النفوس ... إلخ » .

تعالى والإنابة إليه وإيثار محبته ومرضاته ، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها ، لا لتقطع به عنه .

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلاً ثانياً وهو المثل الناري فقال : ﴿ وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ﴾^(١) وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها ، فإنها تدخل الكير لتمحس وتخلص من الخبث ، فيخرج خبثها فيرمى به ويطح ، ويبقى خالصها فهو الذي ينفع الناس .

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهداه رأساً ، وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهداه رأساً ، فقال : ﴿ الذين استجابوا لربهم الحسنى . والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به . أولئك لهم سوء الحساب ، ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾^(٢) والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور ، والموت حيث الظلمة ، فحياة الوجودين الروحي والجسمي بالنور ، وهو مادة الحياة كما أنه مادة الاضاءة ، فلا حياة بدونها كما لا إضاءة بدونها ، وكما به حياة القلب فبه انفساحه وانسراحه وسعته ، كما في الترمذي عن النبي ﷺ « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » قالوا : وما علامة ذلك ؟ قال « الانابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكلمه إلى الله تعالى ، فإن الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب ، وهو نور ومصدر عن النور . ولا من العمل إلا الصالح ، ولا من الارواح إلا الطيبة وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور ، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن النبي ﷺ قال « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الشياطين من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » فلما كانت مادة الملائكة

(١) سورة الرعد : ١٧ .

(٢) سورة الرعد : ١٨ .

من نور كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها ، فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى أن ينتهي بها إلى السماء السابعة ، فتوقف بين يدي الله عز وجل ، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين ، فلما كانت هذه الروح روحا زاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت إلى الله عز وجل مع الملائكة . وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فإنها لا تفتح لها أبواب السماء ولا تصعد إلى الله تعالى ، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها ومحتدها ، لأنها أرضية سفلية ، والاولى علوية سمائية ، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه ، وهذا منه مبين في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الامام أحمد وأبو عوانة الاسفرائيني في صحيحه والحاكم وغيرهم ، وهو حديث صحيح^(١) .

والمقصود أن الله عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً أقربهم إليه وأكرمهم عليه . وفي المسند من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ « ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ، وألقى عليهم من نوره ، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل . فلذلك أقوال : جف القلم على علم الله تعالى » وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الايمان ، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته ، والله تعالى الموفق .

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذي أحياهم وهداهم ، فأصاب الفطرة منه حظها . ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله أكمله لهم وأتمه بالروح الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام والنور الذي أوحاه إليهم ، فأدرسته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور ، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فأشرقت منه القلوب ، واستنارت به الوجوه ، وحييت به الأرواح ، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعا

(١) لخص المصنف رحمه الله الحديث ، وهو من الترغيب والترهيب للمنذري باب عذاب القبر : عن البراء بن عازب . . قال المنذري رواه محتج بهم في الصحيح .

واختياراً ، فازدادت به القلوب الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه ، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها إلى القلب نسبة المرثيات إلى العين ذلك لاستيلاء اليقين عليها وانكشاف حقائق الإيمان لها ، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزاً وإلى استوائه عليه كما أجبر به سبحانه وتعالى . في كتابه وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ يدبر أمر الممالك ويأمر وينهي ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقضي وينفذ ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار ، ويداول الأيام بين الناس ، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى ، والرسول من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالامر ونازل من عنده به ، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات ، نافذة بحسب إرادته ، فما شاء كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تأخر ، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها ، وفي الأرض وما عليها وما تحتها ، وفي البحار والجو ، وفي سائر أجزاء العالم وذراته ، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، ووسع كل شيء رحمة وحرمة ، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشبه عليه . بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها ، لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلظه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح ذوي الحاجات^(١) ، وأحاط بصره بجميع المرثيات فيرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية ، يعلم السر وأخفى من السر ، فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه ، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا^(٢) ، له الخلق والامر ، وله الملك والحمد ، وله الدنيا

(١) بل انه سبحانه يحب العبد الذي يلج من المسألة عليه سبحانه وتعالى . قد أمر بذلك « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية .. وادعوه خوفاً وطمعا .. فادعوا الله مخلصين له الدين .. » وقد قال الشاعر :
لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

(٢) قال تعالى « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » .

والمصنف رحمه الله يذكر المؤمنين بمعاني القدرة والتوحيد فيذكر عناصرهما مستمداً من فهمه للقرآن =

والآخرة ، وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، له الملك كله وله الحمد كله
وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله ، شملت قدرته كل شيء ووسعت رحمته
كل شيء وسعت نعمته إلى كل حي .

﴿ يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن ﴾^(١) . يغفر
ذنبا ، ويفرج هما ، ويكشف كربا ، ويجبر كسيراً ، ويغني فقيراً ، ويعلم
جاهلا ، ويهدي ضالا ، ويرشد حيران ، ويغيث لهفان ، ويفك عانيا ، ويشبع
جائعا ، ويكسو عاريا ، ويشفي مريضا ، ويعافي مبتلى ، ويقبل تائباً ، ويجزي
محسنا ، وينصر مظلوما ويقصم جباراً ، ويقيل عشرة ، ويستر عورة ، ويؤمن من
روعة ، ويرفع أقواما ويضع آخرين ، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض
القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل^(٢) ،
حجابه النور: لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من
خلفه ويمينه ملاءى لا تغيضها^(٣) نفقة ، سحاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ
خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه .

قلوب العباد وتواصيهم بيده ، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره .
الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، يقبض سمواته
كلها بيده الكريمة والارض باليد الاخرى ، ثم يهزهن ، ثم يقول : أنا الملك أنا

= الكريم واستيعابه للأحاديث النبوية الشريفة . وهو يجمل هنا ما فصله في كثير من مصنفاته .

(١) سورة الرحمن : ٢٩ .

(٢) سبحانه وتعالى وسع علمه كل شيء . . لا يرتبط علمه بزمن كعلمنا ، وإنما علمه سبحانه فوق
الزمان والمكان يعلم ما سيحدث كأنه حدث . . وعلم المستقبل عنده يستوي مع علم الحاضر
والماضي ، ولهذا أخبر القرآن بدقة عن أحداث يوم القيامة وأهوالها وحسرة الظالمين فيها . . أخبر
عنها إخباراً يرسم لها صورة دقيقة وكأنها حدثت - بالنسبة لنا - فقال تعالى « ويوم يعرض الظالم على
يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا » والقاريء هنا يحس انه أمام مشهد دقيق . . ومن
هذا التنبيل أيضاً ما وردت السنة من حديث جبريل للنبي ﷺ من قصة الرجل الذي عبد الله
خمسمائة عام . . . وقد أطلع الله ملائكته على موقف هذا الرجل من البعث وسبحان علام
الغيب .

(٣) لا تغيضها : غاض الماء أي جف . . أي لا تعوزها وتفقرها النفقة .

الملك ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً ، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها ، لا يتعاضمه ذنب أن يغفره ، ولا حاجة يسألها أن يعطيها . لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً ، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وإنسهم وجنهم وحيهم وميتهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة ، ولو أن أشجار الأرض كلها - من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا - أقلام ، والبحر - وراءه سبعة أبحر تده من بعده - مداد ، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفذ المداد ولم تنفذ كلمات الخالق تبارك وتعالى ، وكيف تفنى كلماته عز وجل جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية ، والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاذ ؟ وكيف يفنى المخلوق غير المخلوق ؟

هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس دونه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، تبارك وتعالى أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمد ، وأولى من شكر ، وأنصر من ابتغى ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأعفى من قدر ، وأكرم من قصد ، وأعدل من انتقم . حلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن عزته ، ومنعه عن حكيمته ، وموالاته عن إحسانه ورحمته .

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
 إن عذبوا فبعده ، أو نعموا فبفضله ، وهو الكريم الواسع^(١)

وهو الملك لا شريك له ، والفرد فلا ندله ، والغني فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له ، ولا صاحبة ، والعلي فلا شبيه له ولا سمي له ، كل شيء

(١) هذه قضايا عامة .. فهو سبحانه « فعال لما يريد » وهو « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ولكنه تعالى أوجب على نفسه - دون موجب من أحد سواه - الرحمة « كتب ربكم على نفسه الرحمة ... »

هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل ظل قاص إلا ظله ، وكل فضله منقطع إلا فضله . لن يطاع إلا بإذنه ورحمته^(١) ، ولن يعصى إلا بعلمه وحمكته . يطاع فيشكر ، ويعصى فيتجاوز ويغفر . كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل . أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ . حال دون النفوس ، وأخذ بالنواصي ، وسجل الآثار ، وكتب الأجال ، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية ، والغيب عنده شهادة . عطاؤه كلام ، وعذابه كلام ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾^(٢) .

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور ، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة . والمقصود أن الذكر ينور القلب والوجه والاعضاء ، وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي القيامة . وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان ، حتى ان المؤمن من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى الله تبارك وتعالى كنور الشمس ، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله عز وجل ، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة ، والله تعالى المستعان وعليه الانتكال .

تكملة فوائد الذكر

(السابعة والثلاثون) أن الذكر رأس الأصول ، وطريق عامة الطائفة ، ومنشور الولاية : فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل ، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد ، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء ، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء .

(الثامنة والثلاثون) في القلب خلة^(٣) وفاقه لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة

(١) فالهداية نعمة من الله تعالى يوليها من يشاء من عباده .

(٢) سورة يس : ٨٢ .

(٣) الخلة : أي النقص والخلل :

واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقه ، فيكون صاحبه غنياً بلا مال ، عزيزاً بلا عشيرة ، مهيباً بلا سلطان . فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته ، ذليل مع سلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته .

(التاسعة والثلاثون) أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويقرب البعيد ويبعد القريب ، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه ، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له ، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزومه وإرادته . ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه . ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياها وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل . ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان ، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية ، وكلما كان أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقاً به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة ، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر .

وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل ، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها ، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة ، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة ، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا ، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة ، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر .

(الاربعون) أن الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سنته . والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران ، فإذا استيقظ وعلم ما فاتته في نومته شد المتزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاتته ، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر ، فإن الغفلة نوم ثقيل .

(الحادية والاربعون) أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت

تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبي ذلك المقام عليها ، كما بينى الحائط على رأسه وكما يقوم السقف على حائطه . وذلك أن العبد أن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير ، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم ، فالغفلة نوم القلب أو موته .

(الثانية والأربعون) أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه . وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والاحاطة العامة ، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق ، كقوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ ، ﴿ والله مع الصابرين ﴾ ، ﴿ وأن الله مع المحسنين ﴾ ، ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الإلهي « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرت بي شفتاه » وفي أثر آخر « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أفنطهم من رحمتي : إن تابوا فأنا حبيبهم ، فأني أحب التوابين وأحب المتطهرين . وإن لم يتوبوا فأنا طبيهم أبتليهم بالمصائب ، لأظهرهم من المعاييب .

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء ، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة وإنما تعلم بالذوق ، وهي منزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى^(١) ، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود وأن وجود الرب عين وجود هذه الوجودات^(٢) ، بل ليس عندهم رب

(١) يزعم النصارى أن الإله حل في جسد بشري وزعموا أن المسيح ابن الله ثم تدرجوا فقالوا إنه الله ، وزعموا أنه هو الذي سيدين البشر يوم القيامة وكذبوا فيما زعموه فما كان لله أن يتخذ ولداً سبحانه وتعالى عما يشركون . [راجع في تفنيد هذه المزاعم كتب مقارنة الأديان مثل الله واحد أم ثالث للأستاذ محمد مجدي مرجان ، والحق بين المسيحية والاسلام للأساذ منصور حسين . . وغيرهما] .

(٢) دان بهذا الزعم بعض المتصوفة حيث أثر من أقوالهم « ما في الحجة إلا الله » بل روى أن بعضهم قال « سبحانه . . ما أعظم شأنه » ونعوذ بالله من هذا . . . والعقيدة الصحيحة وقاية من هذا وذلك . . نسأل الله العافية .

وعبد ، ولا خلق وحق ، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب والخلق المشبه هو الحق المنزه ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج باب الحلول والاتحاد ولا بد .

(الثالثة والأربعون) أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل ، وقد تقدم أن من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ، الحديث .

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قيل لأبي الدرداء : إن رجلا أعتق مائة نسمة . قال : إن مائة نسمة من مال رجل كثير ، وأفضل من ذلك وأفضل إيمان ملزوم بالليل والنهار ، أن لا يزال لسان أحدكم رطبا من ذكر الله عز وجل . وقال ابن مسعود : لأن أسبح الله تعالى تسيبحات أحب إليّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل . وجلس عبدالله بن عمرو وعبدالله بن مسعود ، فقال عبدالله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل . فقال عبدالله بن عمرو : لأن أجد في طريق فأقولهن أحب إليّ من أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل^(١) . وقد تقدم حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا

(١) ليس المقصود من هذا تبييط همم الناس عن الانفاق في سبيل الله تعالى فقد وردت الأحاديث النبوية مشيرة إلى عظمة الانفاق وعظم أجره عند الله حتى قال « فاتقوا النار ولو بشق تمرة » ، ولكن المراد أن يحث الناس على الذكر ولا يستهينوا بترديده لان ثوابه عظيم . . وإذا قورن أجر الذكر بأجر الانفاق . . والانفاق أثقل على النفس فإن الهمة تتضاعف ، والالسنه تلهج بالذكر في كل وقت والله تعالى أعلم .

أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال « اذكروا الله » رواه ابن ماجه والترمذي وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(الرابعة والأربعون) أن الذكر رأس الشكر ، فما شكر الله تعالى من لم يذكره . وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت علي كثيراً ، فدلني على أن أشكرك كثيراً . قال : اذكرني كثيراً ، فإذا ذكرتني كثيراً فقد شكرتني كثيراً ، وإذا نسيتني فقد كفرتني . وقد ذكر البيهقي أيضاً في شعب الإيمان عن عبدالله بن سلام قال : قال موسى عليه السلام : يارب ، ما الشكر الذي ينبغي لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطبا من ذكري . قال : يا رب إني أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها . قال : وما هي ؟ قال : أكون جنباً أو على الغائط أو إذا بلت . فقال : وإن كان . قال : يارب ، فما أقول ؟ قال تقول سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى ، وسبحانك وبحمدك فقني الأذى^(١) .

قلت قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه . ولم تستثن حالة من حالة . وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته ، وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه ، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر ، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها . وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم « بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ما رزقتنا »^(٢) . وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب لأنه لا بد لقلبه من ذكر ، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه ، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل :

(١) أفضل من ذلك الاستشهاد بقوله تعالى « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » . .
(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه ان قضى بينها ولد من ذلك لم يضره الشيطان » أخرجه الشيخان .

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ولا نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم . وقال عبدالله بن أبي الهذيل : إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق ، ويجب أن يذكر على كل حال ، إلا على الخلاء .

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة وهي من أجل الذكر ، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها ، واللائق بهذه الحال التفتنح بثوب الحياء من الله تعالى وإجلاله وذكر نعمته عليه وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له لو بقي فيه لقتله . فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذية به . وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال : ياها نعمة ، لو يعلم الناس قدرها . وكان بعض السلف يقول : الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى في منفعته وأذهب عني مضرته . وكذلك ذكره حال الجناع ذكر هذه النعمة التي من بها عليه ، وهي أجل نعم الدنيا . فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر ، فالذكر رأس الشكر . وقال النبي ﷺ لمعاذ « والله يامعاذ إني لاحبك ، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(١) فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح .

(الخامسة والأربعون) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره ، فإنه اتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره . فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر . والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه ، وهذه هي المنزلة .

وعمال الآخرة على قسمين : منهم من يعمل على الأجر والثواب ، ومنهم

(١) أخرجه أبو داود والنسائي .

من يعمل على المنزلة والدرجة ، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ويسابق إلى القرب منه . وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قول الله لا تعالی : ﴿ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴾ فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب ، ثم قال : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون ﴾ فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب ثم قال : ﴿ والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ فقليل هذا عطف على الخبر من ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الامم ، ثم أخبر عنهم أن لهم أجراً وهو قوله تعالى ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور : أنهم صديقون ، وشهداء . فهذه هي المرتبة والمنزلة .

قيل : تم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ الصديقون ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال : ﴿ والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والاحسان ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتألوا منه ، فهم الصديقون وهم أهل العلم والعمل ، والاولون أهل البر والاحسان ، ولكن هؤلاء أكمل صديقية منهم : ثم ذكر الشهداء وأنه تعالى يجري عليهم رزقهم ونورهم لانهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم أحياء عنده يرزقون فيجري عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء .

ثم ذكر الاشقياء فقال : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الاجور والمراتب ، وهذان الامران هم اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا : ﴿ إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالين . قال : نعم وإنكم لمن المقربين ﴾ (١) أي أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندني والقرب مني . فالعمال عملوا على الأجور ، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله .

(١) سورة الأعراف : ١١٤ .

وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك ، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء . وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال : قال موسى عليه السلام : يارب ، أي خلقتك أكرم عليك ؟ قال : الذي لا يزال لسانه رطبا بذكري . قال : يارب ، فأني خلقتك أعلم ؟ الذي يلتبس إلى عمله علم غيره . قال : يارب ، أي خلقتك أعدل ؟ قال : الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس . قال : يارب ، أي خلقتك أعظم ذنبا ؟ قال الذي يتهمني . قال : يارب ، وهل يتهمك أحد ؟ قال : الذي يستخبرني ولا يرضى بقضائي . وذكر أيضا عن ابن عباس قال : لما وقد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال : يارب ، أي عبادك أحب إليك ؟ قال الذي يذكرني ولا ينساني . وقال كعب : قال موسى عليه السلام : يارب ، أقرب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ؟ فقال تعالى : يا موسى ، أنا جليس من ذكري . قال : أني أكون على حال أجلك عنها . قال : ما هي يا موسى ؟ قال : عند الغائط والجنابة . قال : أذكرني على كل حال . وقال عبيد بن عمير : تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهباً . وقال الحسن : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الذين كانت ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (١) قال فيقومون فيتخطون رقاب الناس . قال : ثم ينادي مناد : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الذي كانت ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (٢) قال فيقومون فيتخطون من رقاب الناس . قال ثم ينادي مناد : وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الحمادون لله على كل حال ؟ قال فيقومون وهم كثير . ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقي (٣) . وأتى رجل مسلم الخولاني فقال له . أوصني يا أبا مسلم . قال : أذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرّة . فقال زدني . فقال : أذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر

(١) سورة السجدة : ١٦ .

(٢) سورة النور : ٣٧ .

(٣) روى الجزء الأول من « في قيام الليل » : البيهقي عن أساءة و بنت يزيد عن النبي ﷺ وذكرها الحافظ بن كثير في تفسير الآية من سورة السجدة عن ابن أبي حاتم بسنده إلى أساءة .

الله تعالى مجنوناً . قال : وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى ، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى فقال : أجنون صاحبكم هذا ؟ فسمعه أبو مسلم فقال : ليس هذا بالجنون يا ابن أخي ، ولكن هذا ذو الجنون .

(السادسة والأربعون) أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى . وذكر حماد بن زيد عن المعلى ابن زياد أن رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلب . قال : أذبه بالذكر . وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به لقسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار . فما أذيت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل .

(السابعة والأربعون) أن الذكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة وشفأؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى . قال مكحول : ذكر الله تعالى شفاء ، وذكر الناس داء . وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعاً ومرسلاً^(١) ذكرته شفاهاً وعافاها ، فإذا غفلت عنه انتكست ، كما قيل :

إذا مرضنا تدأوينا بذكركم فترك الذكر أحياناً فنتكس

(الثامنة والأربعون) أن الذكر أصل موالة الله عز وجل ورأسها ، والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه . قال الأوزاعي : قال حسان ابن عطية : ما عادي عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره . فهذه المعادة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من ذكره ، فحينئذ يتخذ عدواً كما اتخذ^(٢) الذاكر ولياً .

(التاسعة والأربعون) أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى . فالذكر جلاب للنعم ، دافع للنقم . قال سبحانه وتعالى :

(١) سقط كلام قيل هذا ولعله « أن القلوب إذا مرضت وذكرته شفاهاً » .
(٢) كذا في النسخ التي وقعت عليها ولعل الصواب (كما اتخذ الذاكر ولياً) .

﴿ إن الله يدفع عن الذين آمنوا ﴾ وفي القراءة الأخرى ﴿ إن الله يدافع ﴾ فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله . ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكراً كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ، ومن نقص نقص ، ذكراً بذكر ونسيانا بنسيان . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (١) ، والذكر رأس الشكر كما تقدم ، والشكر جلاب النعم وموجب للمزيد . قال بعض السلف رحمة الله عليهم : ما أقيح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك (٢) .

(الخمسون) أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر ، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح . كل الفلاح وفاز كل الفوز ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلاً * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ (٣) فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور . وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور ، فأي خير لم يحصل لهم ، وأي شر لم يندفع عنهم ؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله . وبالله التوفيق .

(الحادية والخمسون) إن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس ، ارتعوا في رياض الجنة » قلنا : يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال « مجالس الذكر » ثم قال « اغدوا وروحوا وأذكروا ، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده ، فإن الله تعالى ينزل العمل منه حيث أنزله من نفسه » .

(١) سورة إبراهيم : ٧ .

(٢) لا يغفل عن إمدادك بنعمه .

(٣) سورة الأحزاب : ٤٢ .

(الثانية والخمسون) إن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه ، كما أخرجنا في الصحيحين من حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : رسول الله ﷺ « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس^(١) ، يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفظونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا : فيسألهم ربهم تعالى - وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي ؟ قال يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك . قال فيقول : هل رأوني ؟ قال ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول كيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميداً وتمجيداً وأكثر لك تسبيحاً . قال فيقول : ما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يارب ، ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال يقولون : لو إنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة . فيقول : فمم يتعوذون ؟ قال يقولون : من النار . قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يارب ، ما رأوها . قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة . قال يقول : فأشهدكم أي قد غفرت لهم . فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، وإنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم^(٢) » فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جلسهم ، فلهم نصيب من قوله ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت ﴾^(٣) فهكذا المؤمن مبارك أين حل ، والفاجر مشئوم أين حل . فمجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين ، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه ، امرئ يصير إلى ما يناسبه .

(١) أي غير كتاب الحسنات والسيئات .. الكرام الكاتين .

(٢) رواه البخاري من طريق أبي صالح أما مسلم فرواه من طريق ، وهيب عن سهيل عن أبي هريرة .

وقوله فضلا : بضمين وقيل بضم فسكون والمعنى : انهم زائدون كما قلنا ... الله أعلم .

(٣) سورة مريم : ٣١ .

(الثالثة والخمسون) إن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته ، كما روى مسلم في صحيحة عن أبي سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى . قال : آلله (١) ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما جلسنا إلا ذاك . قال : أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني . وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال « ما أجلسكم » ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ علينا بك . قال « آلله ما أجلسكم إلا ذاك » ؟ قالوا : والله ما جلسنا إلا ذاك . قال : « أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة » ، فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبة له وأن له مزية على غيره من الأعمال

(الرابعة والخمسون) ان مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك ، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدرداء قال : الذين لا تزال ألستهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك .

(الخامسة والخمسون) ان جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة لذكر الله تعالى ، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ (٢) قيل المصدر مضاف إلى الفاعل أي لاذكرك بها ، وقيل مضاف إلى المذكور أي لتذكروني بها . واللام على هذا لام التعليل . وقيل هي اللام الوقتية أي أقم الصلاة عند ذكري كقوله : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (٤) وهذا المعنى يراد بالآية لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر ، لأن هذه اللام الوقتية يليها أسناء الزمان والظروف ،

(١) آلله : بالمد على الاستفهام بمعنى والله ؟

(٢) سورة طه : ١٤ .

(٣) سورة الاسراء : ٧٨ .

(٤) سورة الأنبياء : ٤٧ .

والذكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف أي عند وقت ذكرى . وهذا محتمل .

والأظهر أنها لام التعليل أي أقم الصلاة لأجل ذكرى . ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره ، وإذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره ، فإنه لما ذكره أهمه ذكره ، فالمعاني الثلاثة حق .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾^(١) فقيل المعنى انكم في الصلاة تذكرون الله وهو من ذكره ، ولذكره الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه . وهذا يروى عن ابن عباس وسلمان وأبي الدرداء وأبن مسعود رضي الله عنهم ، وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ قال : وهو قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه .

وقال ابن زيد وقادة : معناه ولذكر الله أكبر من كل شيء . وقيل لسلمان أي الأعمال أفضل ؟ أما تقرأ القرآن ﴿ ولذكر الله تعالى ﴾ ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق » الحديث .

وكان شيخ الاسلام أبو العباس قدس الله روحه يقول : الصحيح أن معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر : فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى ، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيا عن الفحشاء والمنكر . وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل : أي العمل أفضل ؟ قال : ذكر الله أكبر . وفي السنن عن عائشة عن النبي ﷺ قال « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله تعالى » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(١) سورة العنكبوت : ٤٥ .

(السادسة والخمسون) أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل ، فأفضل الصوام أكثرهم ذكراً لله عز وجل في صومهم ، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل ، وأفضل الحاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل . وهكذا سائر الاحوال . وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلًا في ذلك أن النبي ﷺ سئل : أي أهل المسجد خير ؟ قال « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » قيل : أي الجنابة خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » . قيل : فأبي المجاهدين خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » قيل : فأبي الحجاج خير^(١) ؟ قال « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » قيل : وأي العباد خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » قال أبو بكر^(٢) ذهب الذاكرون بالخير كله . وقال عبيد بن عمير : إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه ، وبخلتم على المال أن تنفقوه : وجبتم عن العدو أن تقاتلوه : فأكثروا من ذكر الله عز وجل .

(السابعة والخمسون) أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية ، أو مالية كحج التطوع . وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة : ان فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور^(٣) بالدرجات العلى والنعيم والمقيم . يصلون كما يصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجهدون . فقال : ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة » الحديث متفق عليه . فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر ، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به ، فزادوا - إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم - التعبّد بهذا الذكر ، فحازوا الفضيلتين ، فنفسهم^(٤) الفقراء ، وأخبروا رسول

(١) ومن رواية : أي العواد خير ؟

(٢) هو ابن أبي الدنيا مخرج الحديث .

(٣) الدثور جمع دثار ، وهو ما يتدثر به الانسان والمقصود بأهل الدثور من كثرت دثورهم حتى عرفوا بها وهم الأغنياء . والله أعلم .

(٤) أي حسدوهم على هذا الفضل .

الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه ، فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وفي حديث عبدالله بن بسر قال : جاء إعرابي فقال : يا رسول الله ، كثرت عليّ خلال الاسلام وشرائعه ، فأخبرني بأمر جامع يكفيني . قال : « عليك بذكر الله تعالى » قال : ويكفيني يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ويفضل عنك »^(١) فدلّه الناصح ﷺ على شيء يبعثه على شرائع الاسلام والحرص عليها والاستكثار منها ، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب ، فلا شيء أحب من التقرب بشرائع الاسلام ، فدلّه ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الاسلام وتسهل به عليه وهو ذكر الله عز وجل . . يوضحه :

(الثامنة والخمسون) أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته ، فإنه يجيئها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذها له ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل ، والتجربة شاهدة بذلك ، يوضحه :

(التاسعة والخمسون) أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب ، ويسر العسير ويخفف المشاق ، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ، ولا على عسير إلا تيسر ، ولا مشقة إلا خفت ، ولا شدة إلا زالت ، ولا كربة إلا انفرجت ، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة ، واليسر بعد العسر ، والفرج بعد الغم والهجم ، يوضحه .

(الستون) أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل^(٢) ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه ، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له ، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله

(١) وفي رواية بلفظ : ان رجلا قال : يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبت به قال : لا يزال لسانك رطبا بذكر الله « رواه الترمذي وقال حسن غريب .

(٢) رواه البخاري .

مخاوف ، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا . والله المستعان .

(الحادية والستون) أن الذكر يعطي الذاكر قوة ، حتى انه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الاسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمراً عجيباً ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر ، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً . وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعها ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة ، فعلمها ذلك وقال : « إنه خير لكما من خادم^(١) ، فقيل أن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم .

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثراً في هذا الباب ويقول : إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا : ياربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال : قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله . فلما قالوا حملوه . حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الاثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال حدثنا مشيختنا أنه بلغهم أن أول ما خلق الله عز

(١) الخوف إما من البشر أم من الله ، والخوف من البشر يزول عن النفس بذكر الله تعالى ، إذ يرى الانسان انه احتمى بحماه الذي لا يذل قاصده واعتز بعزه الذي لا يقهر جانبه ، فكيف يخاف إنسانا مثله وهما متساويان في العبودية ويزيد الخائف انه يذكر الله تعالى . . وعدوه لا يذكر الله مثل ما يذكره . . فالخائف يرى نفسه أقوى من الآخر فيزيله خوفه وتنبعث الطمأنينة في نفسه . . أما إذا كان الخوف من الله فهو أفضل انواع الخوف وأجلها إذ إنه خوف يثمر الطاعة والقرب من الله تعالى . وهو خوف فريد لا نظير له . لأن أي خوف يبعثك عن مخافته فخوفك من الأسد يجعلك تبعد عن عرينه ، وخوفك من الحاكم يدفعك إلى الاختفاء عن أنظاره أما خوفك من الله فإنه يدفعك إلى القرب منه . . لأنك قد ترى أن البندقية تحميك من الأسد في الوقت المناسب ، وقد تظن ان هناك من يدفع عنك سخط الحاكم أو غيره من الناس فلا تلجأ إلى من تخافه ، أما خوفك من الله تعالى فإنه يدفعك إلى الاحتفاء به منه سبحانه ، لأنه لا يملك أحد لك شيئاً من الله . . فلا تجد وسيلة إلا الالتماء إليه . . ومع خوفك من الله يتضاءل الخوف بأنواعه فلا ترى إلا الأمان . . والله أعلم . .

وجل - حين كان عرشه على الماء - حملة العرش ، قالوا : ربنا لم خلقتنا ؟ قال : خلقتكم لحمل عرشي . قالوا : ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك ؟ قال : لذلك خلقتكم . فأعادوا عليه ذلك مرارا فقال لهم قولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فحملوه .

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة ، وتحمل المشاق ، والدخول على الملوك ، ومن يخاف ، وركوب الأهوال . ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر ، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن معاوية بن صالح عن أسد ابن وداعة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبداً » وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدواً أو ناهض حصناً قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأنه ناهض يوماً حصناً للروم فانهزم ، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن .

(الثانية والستون) أن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق ، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار ، ولكن القتر والغبار يمنع من رؤية سبقهم ، فإذا انجلي الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق . قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان سمعت عمر ومولى غفرة يقول : إذا انكشف الغطاء [للناس] يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر ، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أيسر علينا من الذكر . وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « سيروا ، سبق المفردون » قال « الذين أهتروا في ذكر الله تعالى^(١) يضع الذكر عنهم أوزارهم » . أهتروا بالشيء وفيه : أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم . وفي بعض ألفاظ الحديث « المستهترون بذكر الله » ومعناه الذين أولعوا به ، يقال استهتر فلان بكذا إذا ولع به .

وفيه تفسير آخر أن أهتروا في ذكر الله أي كبروا وهلك أقرانهم وهم في ذكر الله تعالى ، يقال أهتر الرجل فهو مُهْتَرٌ إذا سقط في كلامه من الكبر ، والهتر السقط من الكلام ، كأنه بقي في ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله ،

(١) أهتر - واستهتر ، بالبناء للمجهول .

والهتر الباطل أيضاً ، ورجل مستهتر إذا كان كثير الاباطيل . وفي حديث ابن عمر : أعوذ بالله أن أكون من المستهترين . وحقيقة اللفظ أن الاستهتار الاكثار من الشيء والولوع به حقا كان أو باطلا ، وغلب استعماله على المبطل حتى إذا قيل فلان مستهتر لا يفهم منه إلا الباطل ، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به نحو مستهتر وقد أهتر في ذكر الله تعالى أي أولع به وأغرى به ، ويقال استهتر فيه وبه . وتفسير هذا في الأثر الآخر : « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون » .

(الثالثة والستون) أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده ، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه ، ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ، ورجي له أن يحشر مع الصادقين .

وروى أبو اسحق عن الأغرّ أبي مسلم^(١) أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنها شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر ، قال يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ صدق عبدي ، لا إله إلا أنا وأنا أكبر . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال : لا إله إلا الله لا شريك له ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي » ﴿ قال أبو اسحق : ثم قال [في] الآخر شيئا لم أفهمه . قلت لأبي جعفر : ما قال ؟ قال : « من رزقهن عند موته لم تمسه النار » .

(١) مسلم بن كيسان أبو عبدالله الضبي الأعموري عن أنس بن مالك ومجاهد ، روى عنه الثوري وشعبة . . . اختلط من آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به فجعل يأتي بما لا أصل له عن الثقات فاختلط حديثه ولم يتميز قال البخاري يتكلمون فيه ، وقال الغلاس متروك الحديث وقال أحمد لا يكتب حديثه . . . روى له النسائي عن أبي هريرة وإبي سعيد حديثا في فضل سبحان الله والحمد لله والله أكبر . ذكره الحافظ المنذري من الترغيب والترهيب . والله أعلم .

(الرابعة والستون) أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء . ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي قال : بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم ، فيقولون : حتى تأتينا نفقة .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - سبع مرات - بني له برج في الجنة » وكما أن بناءها بالذكر فغراس بسايتها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام « ان الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وان غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فالذكر غراسها وبنائها . وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أكثروا من غراس الجنة » قالوا : يا رسول الله ، وما غراسها؟ قال : « ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله » .

(الخامسة والستون) ان الذكر سد بين العبد وبين جهنم ، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدا في تلك الطريق ، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً كان سدا محكماً لا منفذ فيه ، وإلا فبحسبه^(١) . قال عبد العزيز بن أبي رواد : كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجداً فجعل في قلبه سبعة أحجار ، كان إذا قضى صلاته قال : يا أحجار أشهدكم أنه لا إله إلا الله . قال فمرض الرجل ، فخرج بروحه ، قال فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار ، قال فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم ، ثم أتى إلى الباب الآخر وإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم ، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم .

(السادسة والستون) ان الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب ، كما روى حسين المعلم عن عبدالله بن بريدة عن عامر الشعبي عن عبدالله بن

(١) أي بمقدار إحكامه .

عمرو بن العاص قال : أجد في كتاب الله المنزل أن العبد إذا قال « الحمد لله »
قالت الملائكة « رب العالمين » ، وإذا قال « الحمد لله رب العالمين » قالت
الملائكة : اللهم أغفر لعبدك ، وإذا قال « سبحان الله » قالت الملائكة : اللهم
أغفر لعبدك ، وإذا قال « لا إله إلا الله » قالت الملائكة : اللهم أغفر لعبدك .

(السابعة والستون) ان الجبال والقفار تنبأهي وتستبشر بمن يذكر الله عز
وجل عليها . قال ابن مسعود : إن الجبل لينادي الجبل باسمه : أمر بك اليوم
أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال : نعم ، استبشر . وقال عون بن عبدالله :
ان البقاع لينادي بعضها بعضا : يا جارتاه أمر بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة :
نعم ، وقائلة . لا ، فقال الأعمش عن مجاهد : ان الجبل لينادي الجبل
باسمه : يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فمن قائل : لا ، ومن
قائل : نعم .

(الثامنة والستون) ان كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق ، فإن
المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل ، قال الله عز وجل في المنافقين : (ولا يذكرون
الله إلا قليلا) وقال كعب : من أكثر ذكر الله عز وجل بريء من النفاق ولهذا -
والله أعلم - ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا
تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يقول ذلك فأولئك هم
الخاسرون ﴾ فإن في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل
فوقعوا في النفاق . وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج :
منافقون هم ؟ قال : لا ، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا . فهذا من علامة
النفاق قلة ذكر الله عز وجل ، وكثرة ذكره أمان من النفاق ، والله عز وجل أكرم
من أن يبتي قلبا ذاكراً بالنفاق ، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز
وجل .

(التاسعة والستون) ان للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء ، فلو
لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه
لكفى به ، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة ، قال مالك بن دينار : وما
تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل ، فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه

ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجا للقلب .

(السبعون) انه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة ، فالذاكرون أنضر الناس وجوهاً في الدنيا وأنورهم في الآخرة ، ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال « من قال كل يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه أشد بياضا من القمر ليلة البدر » .

(الحادية والسبعون) ان في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة ، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة قال تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الانسان ما لها ؟ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ﴾ فروى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ « أتدرون ما أخبارها » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا كذا وكذا » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده ، ولعلمهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الشهداء وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم .

(الثانية والسبعون) ان في الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة واللغو ومدح الناس وذمهم وغير ذلك ، فإن اللسان لا يسكت البتة : فإما لسان ذاكر ، وإما لسان لاغ ، ولا بد من أحدهما ، فهي النفس ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وهو القلب ان لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد ، وهو اللسان ان لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد ، فاختر لنفسك إحدى الخطتين ، وأنزلها في إحدى المنزلتين .

(الثالثة والسبعون) وهي التي بدأنا بذكرها وأشرنا إليها إشارة فنذكرها هاهنا مبسوطا لعظيم الفائدة بها ، وحاجة كل أحد بل ضرورته إليها ، وهي أن

الشياطين قد احتوت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظا وأحاطوا به ، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى ، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل . وفي هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه ، فذكره بطوله لعموم فائدته وحاجة الخلق إليه ، وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما وكنا في صفة بالمدينة ، فقام علينا فقال « إني رأيت البارحة عجا : رأيت رجلا من أمي أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه . ورأيت رجلا من أمي قد بسط عليه عذاب القبر ، فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك . ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه ، ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمي يلهب - وفي رواية يلهث - عطشا ، كلما دنا من حوض منع وطرد ، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه . ورأيت رجلا من أمي ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا إلى حلقة طرد ، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي . ورأيت رجلا من أمي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها ، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه في النور . ورأيت رجلا من أمي يتقي بيده وهج النار وشره ، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه . ورأيت رجلا من أمي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمه فقالت : يا معشر المسلمين ، انه كان وصولا لرحمه فكلموه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم . ورأيت رجلا من أمي قد إحتوشته^(١) الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب ، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلا من أمي قد

(١) احتوشته أحاطت به وتمكنت منه .

ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه . ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه^(١) . ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه في الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلا من أمتي قد أهوى في النار ، فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك . ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يردد كما ترعد السعفة^(٢) في ريح عاصف ، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى . ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط ويجبو أحيانا ، فجاءته صلاته عليّ فأقامته على قدميه وأنقذته . ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الترغيب في الخصال المنجية ، والترهيب من الخلال المردية) وبني كتابه عليه وجعله شرحا له ، وقال : هذا حديث حسن جدأرواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر وعلي بن زيد بن جدعان وهلال أبو جبلة . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث ، وبلغني عنه أنه كان يقول : شواهد الصحة عليه . والمقصود منه قوله ﷺ « ورأيت رجلا من أمتي حتوشته الشياطين ، ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه » فهذا مطابق لحديث الحارث الاشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة^(٣) وقوله فيه « وأمركم بذكر الله عز وجل وان مثل ذلك كمثله رجل طلبه العدو فانطلقوا في طلبه سراعا وانطلق حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه » فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل . وفي الترمذي عن أنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ « من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له : كفيت وهديت ووقيت . وتنحى عنه الشيطان ، فيقول

(١) أفراطه جمع فرط أي من مات له من الأطفال .

(٢) ترعد السعفة : أي ترتعش كخوص النخيل .

(٣) ذكر ص ١٨ وما بعدها . . .

لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هُدى وكفى ووقى ؟ رواه أبو داود والنسائي
والترمذي وقال : حديث حسن .

وقد تقدم قوله ﷺ « من قال في يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت له حرزاً من الشيطان حتى يمسي » وذكر سفيان عن أبي الزبير عن عبدالله بن ضمرة عن كعب قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال هديت ، وإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت ، وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك حفظت . فيقول الشياطين بعضهم لبعض : أرجعوا ليس لكم عليه سبيل ، كيف لكم بمن كفى وهدى وحفظ ؟

وقال أبو خلاد المصري : من دخل في الاسلام دخل في حصن ، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين ، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها فقد دخل في بيته حصونا . وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني عن أنس عن النبي ﷺ قال « إذا وضع العبد جنبه على فراشه فقال بسم الله وقرأ فاتحة الكتاب أمن من شر الجن والانس ومن كل شيء .

وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : ولاني رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها ، فأتاني آت فجعل يخبث من الطعام ، فأخذته ، فقال : دعني فاني لا أعود ، فذكر الحديث وقال : فقال له في الثالثة : أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها إلى آخرها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخلى سبيله ، فأصبح فأخبر النبي ﷺ بقوله فقال « صدقك ، وهو كذوب » وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ إذا أوى الانسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان وبات يكلاه ، فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فإن قال : الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمكك التي قضى عليها الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمكك السموات

والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذي
يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلاه .

وفي الصحيحين من حديث سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس
قال : قال رسول الله ﷺ « أما ان أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فيولد بينهما ولد ، لا يضره الشيطان
أبداً » . وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن علي قال : أنا ضامن لمن قرأ هذه
العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم ، ومن كل شيطان مريد ،
ومن كل سبع ضار ، ومن كل لص عاد : آية الكرسي وثلاث آيات من الأعراف
﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ ، وعشراً من الصافات وثلاث
آيات من الرحمن ﴿ يا معاشر الجن والانس ﴾ وخاتمة سورة الحشر ﴿ لو أنزلنا
هذا ﴾ ، وقال محمد بن أبان : بينما رجل يصلي في المسجد إذا هو بشيء إلى جنبه
فجفل منه فقال : ليس عليك مني بأس إنما جئتك في الله تعالى ، إئت عروة
فسله : ما الذي يتعوذه ؟ يعني من إبليس الابليس . قال : قل آمنت بالله العظيم
وحده ، وكفرت بالجبت والطاغوت ، واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها ،
والله سميع عليم . حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله
منتهى .

وقال بشر بن منصور عن وهيب ابن الورد قال : خرج رجل إلى الجبانة
بعد ساعة من الليل ، قال فسمعت حسا - أو صوتا - شديداً ، وجيء بسريير
حتى وضع ، وجاء شيء حتى جلس عليه . قال : واجتمعت إليه جنوده ، ثم
صرخ فقال : من لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز
وجل من الأصوات ، فقال واحد : أنا أكفيكه . قال فتوجه نحو المدينة وأنا
ناظر ، ثم أوشك الرجعة فقال : لا سبيل : إلى عروة ، وقال : ويلكم وجدته
يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا نخلص إليه معه . قال الرجل : فلما
أصبحت قلت لأهلي جهزوني ، فأتيت المدينة فسألت عنه حتى دلت عليه ، فإذا
بشيخ كبير ، فقلت : شيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فأبى أن
يخبرني ، فأخبرته بما رأيت وما سمعت ، فقال : ما أدري ، غير أي أقول إذا

أصبحت : آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم . وإذا أصبحت قلت ثلاث مرات ، وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات .

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال : قال جبريل للنبي ﷺ : إن عفريتاً من الجن يكيدك ، فإذا أويت إلى فراشك فقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ من الأرض وما يخرج منها ، ومن شرفتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن .

وقد ثبت في الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان ، قال سهل بن أبي صالح : أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعى غلام - أو صاحب - لنا فنادى مناد من حائط باسمه ، فأشرف الذي معى على الحائط فلم ير شيئاً ، فذكرت ذلك لأبي فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتاً فنادي بالصلاة ، فأني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حصاص » وفي رواية « إذا سمع النداء ولى وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين » الحديث .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ « استكثروا من لا إله إلا الله والاستغفار ، فإن الشيطان قال : قد أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بقول لا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون مهتدون فلا يستغفرون .

وذكر أيضاً عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : بينا رجل مسافر إذ مر برجل نائم ورأى عنده شياطين ، فسمع المسافر أحد الشياطين يقول لصاحبه : اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه ، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال : لقد نام على آية مالنا إليه سبيل ، فذهب إلى النائم فلما دنا منه رجع قال : صدقت . فذهب . ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشياطين فقال : أخبرني على أي آية نمت ، قال على هذه الآية ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه

حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴿١﴾ .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كنت أرى في داري . . . (٢) فقيل : يا أبا النضر تحوّل عن جوارنا . قال فاشتد ذلك عليّ ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربي وأبي أسامة ، فكتب إليّ المحاربي : إن بشرأ بالمدينة كان يقطع رشاؤها ، فنزل بهم ركب ، فشكوا ذلك إليهم ، فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه في البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر . قال أبو النضر فأخذت تورأ من ماء ، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام ، ثم تتبعته به زوايا الدار فرششته ، فصاحوا بي : أحرقتنا ، نحن نتحول عنك . وهو : بسم الله ، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع ، ويعزة الله التي لا ترام ولا تضام ، وبسلطان الله المنيع نحتجب ، وبأسمائيه الحسنی كلها عائد من الابالسة ، ومن شر شياطين الانس والجن ، ومن شر معلن أو مسر ، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار ، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار ، ومن شر ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم . أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفى ، من شر ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر ما يبغى . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، والصفات صفا ، فالزاجرات زجراً ، فالتاليات ذكراً ، إن إلهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق . إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد . لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ويُقدفون من كل جانب دحوراً وهم عذاب واضب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴿

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العهد «يجرذ نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى» . ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر تكمياً للفائدة :

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٢) سقط من الكلام شيء ولعله كلم من كان يراهم فقيل له يا أبا النضر . . إلخ .

الفصل الأول : الذكر نوعان : أحدهما ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بها وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى .
وهذا أيضاً نوعان .

(أحدهما) إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ، نحو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ونحو ذلك . فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو سبحان الله عدد خلقه ، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله ، وقولك الحمد لله عدد ما خلق في السماء وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالق ، أفضل من مجرد قولك الحمد لله . وهذا في حديث جويرية أن النبي ﷺ قال لها « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزّنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم .

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بها فقال « سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » .

(الثاني) الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك :
الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير . وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته^(١) ونحو ذلك . وأفضل هذا النوع الثناء

(١) وهو معنى حديث رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك : ولفظه : الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره - وقد أضله بأرض فلاة . . . وقول المصنف « وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته » يعني إذا وجدها .

عليه بما اثني به على نفسه وبما أثني به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل^(١) . وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع : حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد لله الاخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضاء به ، فلا يكون المحب الساكت حامدا ولا المثني بلا محبة حامدا حتى تجتمع له المحبة والثناء . فإن كرر المحامد شيئا بعد الشيء كانت ثناء ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً ، وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة ، فإذا قال العبد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : أثني عليّ عبدي ، وإذا قال ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال : مجدني عبدي^(٢)

(النوع الثاني) من الذكر ذكر أمره ونهيه وأحكامه ، وهو أيضاً نوعان : (أحدهما) ذكره بذلك إخباراً عنه أمر بكذا ونهى عنه كذا وأحب كذا وسخط كذا ورضي كذا .

(والثاني) ذكره عند أمره فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فإذا اجتمعت هذه الأنواع

(١) التحريف أن يقول الكلمة على غير وضعها اللغوي لتدل على معنى في ضمير المحرف يريد أن ينقله إلى السامع كقول اليهود للنبي ﷺ : السام عليكم - يدل السلام عليكم والسلام الموت ، وكقولهم « راعنا . . . بدل « انظرنا » إذ كان للفظ الأول معنى لا يليق وهو معروف لهم . . . أما التعطيل فقد تعددت الفرق الضالة به فمنهم من فرق في الخلق فقال ان الله خلق الخير ولم يخلق الشر ، أو خلق المؤمن ولم يخلق الكافر . . . وهكذا خرجوا على مقتضى الايمان (راجع التفصيل في الفصل في الملل والنحل لابن حزم . . .) أما التشبيه فقد زعم المشتبه ان الله تعالى يشبه خلقه فله يد ووجه قالوا ذلك من غير تنزيه .
والتمثيل : ان يضرب الله المثل ويريدون به حقيقته فالنزول مثل نزول البشر من مكان عال وغير ذلك .

وقد أراد المصنف رحمه الله ان ينبه المؤمن إلى عقيدته ، فيلتزم بما جاء في الكتاب وصحيح السنة وان يظل على وعي بأن الله تعالى (ليس كمثله شيء) وأنه في جلاله وعظمته (لا تدركه الأبصار) وهو يدرك الأبصار .

(٢) جاء في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة بلفظ « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبيدي مسائل . . . الحديث .

لذا ذكره فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه .

(فائدة) فهذا الذكر من الفقه الاكبر وما دونه أفضل الذكر إذا صحت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأيديه ومواقع فضله على عبده ، وهذا أيضاً من أجل انواع الذكر .

فهذه خمسة انواع وهي تكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر . وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية . وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة . فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان . وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة بيبحج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزعج عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات . وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً منها فثمره ضعيفة

(الفصل الثاني) الذكر أفضل من الدعاء . الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه ، والدعاء سؤال العبد حاجته . فأين هذا من هذا ؟

ولهذا جاء في الحديث « من شغله ذكري غن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدي حاجته ، ثم يسأل حاجته . كما في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره « إذا صلي أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بعد بما شاء » رواه الامام أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الحاكم في صحيحه .

وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبي ﷺ « دعوة أخي ذي النون ، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته : ﴿ لا إله إلا أنت ، سبحانهك

إني كنت من الظالمين ﴿ وفي الترمذي « دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت ﴿ لا إله إلا أنت ، سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿ فإنه لم يدع بها مسلم قط إلا استجاب له (١) . »

وهكذا عامة الادعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام ، ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم (٢) » ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال « والذي نفسي بيده ، لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى (٣) » وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس انه كان مع النبي ﷺ جالساً ورجل (٤) يصلي ثم دعا : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، ولا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم . فقال للنبي ﷺ « لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر ، وانه اسم الله الأعظم فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه .

وهذه فائدة اخرى من فوائد الذكر والثناء ، أنه يجعل الدعاء مستجابا .
فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء افضل واقرب إلى الاجابة من الدعاء المجرد ، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الاجابة وأفضل ، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله ،

(١) أخرجه الامام أحمد والترمذي عن سعد أبي وقاص .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) قال الحافظ المنذري : قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي : واسناده لا مطعن فيه ، ولم يرد من

هذا الباب حديث أجود منه .

(٤) هو زيد بن الصامت كما رواه أحمد .

وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكته ، فهذا المقتضي منه ،
واوصاف المسؤول مقتضي من الله ، فاجتمع المقتضي من السائل والمقتضي من
المسؤول في الدعاء ، وكان ابلغ والطف موقعا واتم معرفة وعبودية .

وأنت ترى في المشاهد - والله المثل الأعلى^(١) - أن الرجل إذا توسل إلى ما
يريد معروفة بكرمه وجوده وبيره وذكر حاجته هو وفقره ومسكته كان اعطف
لقلب المسؤول واقرب لقضاء حاجته . فإذا قال له : أنت جودك قد سارت به
الركبان ، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك ، وقد بلغت بي الحاجة
والضرورة مبلغا لا صبر معه ونحو ذلك ، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن
يقول ابتداء أعطني كذا وكذا . فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه
﴿ رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ وقول ذي النون ﷺ في دعائه ﴿ لا إله
إلا أنت ، سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ وقول أبينا آدم ﷺ ﴿ ربنا ظلمنا
أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ وفي الصحيحين أن أبا
بكر الصديق قال : يارسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي ، فقال « قل :
اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي
مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » فجمع في هذا الدعاء
الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله
وجوده وأنه المنفرد بغفران الذنوب ، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالامرین معاً .
فهكذا ادب الدعاء وآداب العبودية .

الفصل الثالث قراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء .

هذا من حيث النظر لكل منها مجرداً ، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى
من الفاضل ، بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في
الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهي عنها

(١) ينبغي على كل من ضرب مثلاً كي يقرب الحقيقة للناس ان يحتسب بمثل ما احتسب به
المصنف . . فحينما نحاول ان نقرب الحقيقة الإلهية علينا ان نقول (والله المثل الأعلى)

تحريم أو كراهة^(١) ، وكذلك التسميع ، والتحميد في محلها أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد ، وكذلك « رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني » بين السجدين أفضل من القراءة ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد - أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة ، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة .

وان كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه .

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن . مثاله أن يتفكر في ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحطه . وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما ، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهاالا ، فهذا يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع ، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً .

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس ، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطي كل ذي حق حقه ، ويوضع كل شيء موضعه : فللعين موضع وللرجل موضع ، وللأذن موضع وللحم موضع . وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي . والله تعالى الموفق .

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم وتُرى له . ألا واني نبيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً أما الركوع فعظموها فيه الرب ؛ وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن (أي جدين) أن يستجاب لكم » رواه مسلم وغيره .

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت والتجمير وماء الورد وكيفية أنفع له في وقت . وقلت لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوماً : سئل بعض أهل العلم أيما انفع للعبد التسييح أو الاستغفار؟ فقال : إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإن كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له . فقال لي رحمه الله تعالى : فكيف والثياب لا تزال دنسة؟ ومن هذا الباب أن سورة ﴿ قل هو الله احد ﴾ تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها ، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الاخلاص .

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء ، وهي جامعة لأجزاء العبودية على اتم الوجوه ، كانت افضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده ، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الاعضاء . فهذا أصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح إبليس الفضل الذي بينهما ، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها إن كان ذلك وقته ، فتفوته مصلحة بالكلية ، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً . وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها ، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه ، وتنزله في مرتبته ، وتفويته لما هو أهم منه ، أو تفويت ما هو اولى منه وأفضل لامكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به اولى - وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس - وإن كان القرآن أفضل ، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل ، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس ، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت . والله تعالى الموفق .

فصل في الإذكار الموظفة
التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها
لشدة الحاجة اليها ، وعظم الانتفاع في الآهل والعاجل
بها . وفيه فصول

الفصل الأول

في ذكر طرفي النهار

وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب . قال سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾^(١) والأصيل : قال الجوهري هو الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وجمعه أصل وأصال وأصائل كأنه أصيلة قال الشاعر :

لعمري لأنت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل
ويجمع أيضا على أصلان ، مثل بعير وبعران ، ثم صغروا الجمع فقالوا أصيلاً ، ثم أبدلوا من النون لا ما فقالوا أصيلاً ، قال الشاعر :

وقفت فيها أصيلاً أسائلها أعيت جوابا وما بالربع من أحد
وقال تعالى : ﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار﴾^(٢) فالابكار أول النهار والعشي آخره ، وقال تعالى : ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾^(٣) وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث : من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي ، أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر .

(١) سورة الأحزاب : ٤٣/٤١ .

(٢) سورة غافر : ٥٥ .

(٣) سورة ق : ٤٠ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » وفي صحيحه أيضا عن ابن مسعود قال : كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . رب أسألك خيرا ما في هذه الليلة وخيرا ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها . رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر . وإذا أصبح قال ذلك أيضا : أصبحنا وأصبح الملك لله »

وفي السنن عن عبدالله بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ « قل » قلت : يا رسول الله ، ما أقول ؟ قال ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » قال الترمذي : حديث حسن صحيح^(١) وفي الترمذي أيضا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه يقول « إذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور^(٢) وإذا أمسى فليقل : اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير » قال الترمذي . حديث حسن صحيح .

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها حين

(١) الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وهو من حديث معاذ بن عبدالله بن حبيب عن أبي وأخرجه أيضا النسائي . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب من هذا الوجه واللفظ الذي ساقه المصنف لأبي داود .

(٢) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان كما أخرج أبو داود والترمذي بقيته . ورجاله رجال الصحيح .

يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة .»

وفي الترمذي عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ :
مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال « قل : اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه^(١) ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره إلى مسلم . قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك » قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي الترمذي أيضاً عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - فيضره شيء » قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال « من قال يمسي وإذا أصبح : رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، كان حقاً على الله أن يرضيه » وقال : حديث حسن صحيح . وفي الترمذي أيضاً عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك . أعتق الله ربعه من النار . ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار .»

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن غنم أن رسول الله ﷺ قال : « من

(١) قوله وشركه : قال الخطابي روي على وجهين : أحدهما بكسر الشين وسكون الراء ، ومعناه ما يدعو إليه الشيطان ويوسوس به من الأشرار بالله سبحانه وتعالى .
والثاني بفتح الشين والراء يريد جائل الشيطان ومصانده .

وقوله « من شر نفس » أي شر هواها المخالف للهدى قال تعالى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟) أما إذا وافق الهوى الهدى فهو كزبد وعسل . وقيل الاستعاذة منها لكونها أسرع إجابة إلى داعي الشر من الهوى والشيطان . وحاصله مزيد الاعتناء بتطهير النفس والله الموفق .

قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر . فقد أدى شكر يومه . ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته « وفي السنن وصحيح الحاكم عن عبد الله ابن عمر قال : لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح » اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي^(١) اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال^(٢) من تحتي » قال وكيع يعني الخسف وعن طلق بن حبيب قال : جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال يا أبا الدرداء ، قد احترق بيتك . فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك . لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم . ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم »^(٣) .

(١) قوله « استر عوراتي ، وآمن روعاتي » بالجمع عند ابن أبي شيبة وقد روي بالإفراد « استر عورتي وآمن روعتي » والعورة كل ما يستحي منه ، والروعة الفرع .

(٢) (أغتال من تحتي) : هل هذا هو الخسف حقا ؟ أم أنه من النبوة بما سيحدث ؟ ان الخسف يعني ان تبتلع الأرض الشخص . كما حدث لقارون « فحسفنا به وبداره الأرض » والاعتيال ان يؤخذ المرء غيلة دون أن يدري أو يحسب حسابا ، وقد عرفناه في عصرنا . . فعرفنا الألغام التي تنفجر تحت قدم الانسان أو تحت عجلات سيارته . . وهذا من معالم النبوة - وكأنه ﷺ يعلم أتباعه تعليما يشف عن المستقبل . .

(٣) قال فذهب فوجد داره قد نجت واحترق ما حولها والله أعلم .

الفصل الثاني

في أذكار النوم

وفي الصحيحين عن حذيفة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال : « باسمك اللهم أموت وأحيا » وإذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » .

وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ^(١) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه أتاه آت يحشو من الصدقة وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة ، فلما كان في الليلة الثالثة قال : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن - وكان أحرص شيء على الخير ^(٢) - فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ حتى ختمها ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك

(١) أوى إلى منزله يأوي من باب ضرب أوى : أقام ، وربما عدى بنفسه فقبل أوى منزله ، وأويت زيدا بالمد من المتعدي ومنهم من يجعله لازماً ومتعدياً . . وقوله « نفث فيهما يقرأ فيهما » اللفظ « جمع كفين ونفث فيها وقرأ » قيل معناه أراد النفث وقرأ ، وقيل قدم النفث على القراءة لمخالفة السحرة البطلة وفائدة النفث التبرك بالهواء والنفس المباشر للقراءة . . والله أعلم .
(٢) هذه الجملة مدرجة من الراوي تفسيراً منه لسبب تركه للسارق وعدم تقديمه للنبي ﷺ .

شيطان حتى تصبح . فقال النبي ﷺ « صدقك وهو كذوب » وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنها جرت لأبي الدرداء ، ورواها الطبراني في معجمه أنها جرت لأبي بن كعب .

وفي الصحيحين عن أبي مسعود الانصاري عن النبي ﷺ قال « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفته » . الصحيح أن معناها كفته من شر ما يؤذيه ، وقيل كفته من قيام الليل وليس بشيء ، قال علي بن أبي طالب : ما كنت أرى أحداً يغفل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث والأواخر من سورة البقرة^(١) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفذه بصنفة إزاره^(٢) ثلاث مرات ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده . وإذا اضطجع فليقل : باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »

وفي الصحيحين عنه عن النبي ﷺ « إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي عافاني في جسدي ، ورد عليّ روعي ، وأذن لي بذكركه » .

وقد تقدم حديث علي ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضي الله تعالى عنها أن يسبحا إذا أخذتا مضاجعهما للنوم ثلاثا وثلاثين ، ويحمدا ثلاثا وثلاثين ، ويكبرا أربعاً وثلاثين ، وقال « هو خير لكما من خادم » . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء

(١) هذه الآيات المباركات لها مكانتها بالنسبة لعقيدة المسلم فقد جمعت شمائل الايمان الحق ، والاسلام لله تعالى ، والدعاء بأن يتجاوز الله عن الخطايا والذنوب ، وان يجنب هذه الأمة مصائر الأمم السابقة التي أهلكت بذنوبها ، فهذه الآيات فيها خير الفرد والمجتمع ، وفيها ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ولعل المراد بكفائتها للمؤمن أنها جمعت له أطراف الخير ، وأجلت له ما يصلحه من امر دنياه وآخرته والله أعلم .

(٢) صنفة الأزار - بفتح الصاد - طرفه مما يلي طرته ، أو هي الجانب الذي لا هذب له - ومن رواية « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه بداخله إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي الحديث .

فيما يعانيه من شغل وغيره . وفي سنن أبي داود عن حفصه أم المؤمنين أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » ثلاث مرات ، قال الترمذي : حديث حسن . وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال « الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي » . وفي صحيحه أيضاً عن ابن عمر أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول « اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفأها ، لك مماتها ومحياها^(١) ، وإن احببتها فاحفظها^(٢) ، وإن امتها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية » . قال ابن عمر : سمعتهم من رسول الله ﷺ . وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « من قال حين يأوي إلى فراشه : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه - ثلاث مرات - غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا^(٣) » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول . وليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر^(٤) » وفي الصحيحين عن البراء بن عازب

(١) لك مماتها ومحياها . . أي موتها وحياتها ملك لك ، لا يملك غيرك شيئاً من ذلك قال تعالى (ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) .

(٢) احفظها من البليات ومن يوجب العذاب أو يقتضي الحجاب ومن الحديث ذكر الموت والحياة والدعاء للنفس على تقدير الحياة بالحفظ وعلى تقدير الموت بالمغفرة وذلك ان النوم شبيه بالموت لأن الله سبحانه يتوفى فيه نفس النائم كما قال تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت من منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

(٣) قال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عبدالله بن الوليد الرصافي وزاد في رواية « وإن كانت عدد النجوم » . وفي الحديث فضيلة عظيمة ومنقبه جليلة في مغفرة الذنوب لقاتل هذا الذكر ثلاث مرات ، وفضل الله واسع . .

(٤) « أنت آخذ بناصيته » أي لا يخرج عن طاعتك شيء ، وإنما يخضع لك كل شيء « اقض عنا الدين » وقضاؤه أما بأن ييسر للمدين وسائل السداد وقضاء ما عليه بأن يعينه من عمل ويفتح له =

قال : قال لي رسول الله ﷺ « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم اسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت . فإن متَّ متَّ على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول »

باب الرزق ، وأما ان يكون بتحملة عن المدين وتعويض الدائن من فضل الله يوم القيامة ، وذلك إذا مات المدين ولم يستطع قضاء ما عليه والله أعلم .
واغتننا من الفقر ، دعاء بالغنى حتى يكون المؤمن قويا . . فيكون أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ومن هذا رد على أدعياء الزهد والعبادة . الذين يرون في مظاهر الفقر والكسل مدخلا إلى رضوان الله تعالى . . فالغنى من حلال خير من مظاهر المذلة المادية للبشر والله أعلم .

الفصل الثالث

في اذكار الانتباه من النوم

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « من تعارَّ من الليل^(١) فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : اللهم أغفر لي ، أو دعا ، استجيب له . فإن توضأ وصلّى قبلت صلاته . » وفي الترمذي عن أبي أمامه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أوى إلى فراشه طاهراً وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا أعطاه إياه » حديث حسن . وفي سنن أبي داود عن عائشة أن الرسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال « لا إله إلا أنت سبحانك ، اللهم أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . »

(١) تعار : استيقظ من النوم مع كلام .

الفصل الرابع

في اذكار الفزع في النوم والفكر

روى الترمذي عن بريدة قال : شكأ خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ، ما أنام الليل من الارق . فقال النبي ﷺ « إذا أويت إلى فراشك
فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ،
ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط
عليّ أحد منهم ، أو أن يطغى عليّ ، عز وجل ثناؤك ولا إله غيرك ولا إله إلا
أنت » .

وفي الترمذي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من
الفزع كلمات « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، وشر عباده ، ومن همزات
الشياطين وأن يحضرون »^(١) وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ،
ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه .

(١) قال الترمذي حديث حسن غريب ورواه أحمد في المسند : عن الوليد بن الوليد انه قال يا رسول
الله أجد وحشة قال : إذا أخذت مضجعت فقل . . . وذكر الحديث وقد رواه محمد بن يحيى بن
حبان عن الوليد . . قال المنذري ومحمد لم يسمع من الوليد .
وقوله همزات الشياطين أي خطراتهم التي تخطر بقلب الانسان .

الفصل الخامس

في اذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

في الصحيحين عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ ، وليتعوذ بالله من شرها فأنها لن تضره إن شاء الله » قال أبو قتادة : كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول « الرؤيا الصالحة^(١) من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يجب فلا يحدث به إلا من يجب ، وإذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به . وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى ، فإنها لا تضره » .

وفي صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاث مرات ، وليستعد بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه » . ويذكر عن النبي ﷺ أن رجلاً قص عليه رؤيا فقال « خيراً رأيت ، وخيراً يكون » وفي رواية « خيراً تلقاه ، وشرراً توقاه . خيراً لنا ، وشرراً على أعدائنا » والحمد لله رب العالمين .

(١) وفي رواية « الحسنة » وقد فرق الحديث بين الرؤيا وذكر أنها الصالحة الحسنة وهي من الله تعالى ، أما الحلم وهو ما يكون شيئاً مثل الكابوس أو الشدائد التي يراها الانسان في منامه فهي من الشيطان ، والذي يلحظ علاج الحلم الذي ورد في الحديث يتبين له أنه قسمان أ - ذكر الله وقراءة القرآن ب - ان يتفل (أو يبصق بصقاً خفيفاً) عن شماله .. ومن هذا العلاج يتحول المؤمن إلى الله تعالى ويحتمي بحماه ومن تفلّه ما يدل على حقارة كيد الشيطان وهوان أمره ، واستهانة المؤمن به إذ لجأ إلى مولاة سبحانه وتعالى .. ومن الحديث الآخر فليتحول عن جنبه إشارة إلى الانصراف عن سلطان الشيطان إلى رعاية الله تعالى والله أعلم .

في اذكار الخروج من المنزل

في السنن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان فيقول لشیطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى » وفي مسند الإمام أحمد « بسم الله آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » حديث حسن .
وفي السنن الأربع عن أم سلمة قالت : ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال « اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل عليّ » قال الترمذي حديث حسن صحيح^(١) .

(١) هذا الحديث يرسم للمؤمن حظه عمله عقب خروجه من منزله فهو مستعين بالله لا يطلب سطوة ، ويرجو ألا يكون سبياً في شر لأحد ، وهذا خلق المسلم الحق ونسأل الله الهداية .

الفصل السابع

في انكار دخول المنزل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم ليسلم على أهله» وفي الترمذي عن أنس قال لي رسول الله ﷺ «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك»^(١) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) يستحب ان يقول : بسم الله ، وأن يكثر من ذكر الله تعالى وان يسلم سواء كان في البيت آدمي أم لا لقوله تعالى « فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » ولعل من الأفضل ان يقول عند دخوله بسم الله والسلام على رسول الله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين « ثم يسلم على أهله . . كما في الحديث .

الفصل الثامن

في اذكار دخول المسجد والخروج منه

في صحيح مسلم عن أبي حميد - أو أبي أسيد - قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أحدكم إلى مسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم أفتح لي أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك ^(١) » وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه إذا دخل المسجد قال « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » فإذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم ^(٢) .

(١) يستحب ان يدخل برجله اليمنى ويقول : بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك . . ثم إذا أراد الخروج فليخرج برجله اليسرى - استحبابا - ويقول بسم الله والسلام على رسول الله : اللهم اني اسألك من فضلك . وتأمل الحكمة . . . فإن الداخل إلى المسجد يرجو رحمة ربه لأن هذا ميدانها فإذا خرج فإنه يطلب الفضل من الله إذ يسعى في الارض ويضرب فيها ابتغاء فضل الله والحمد لله رب العالمين .
(٢) إسناده جيد كما قال النووي .

وقد روى البخاري من حديث ابن عباس ان النبي ﷺ خرج إلى الصلاة وهو يقول « اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا ومن سمعي نورا وعن يميني نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا ومن عصبي نورا ومن لحمي نورا ، ومن دمي نورا ومن شعري نورا ومن بشري نورا ومن لساني نورا ، واجعل من نفسي أعظم لي نورا »

وقدم القلب لأن صلاحه صلاح المؤمن . . . وصلاح بدنه كما روي في الحديث ولأن القلب إذا نور فاض نوره على البدن جميعا ومن لازم تنوير هذه الأعضاء حلول الهداية لأن النور يقشع ظلمات الذنوب . . وقوله « ومن بشري » بفتح الباء والشين أي جلدي . . والله أعلم .

الفصل السابع

في اذكار الأذان

في الصحيحين عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » . وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال أشهد أن محمد رسول الله قال أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم قال حي الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال حي على الفلاح^(١) قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر ، ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه ، دخل الجنة » .

وفي صحيح البخاري عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة

(١) اخرج ابن السن في كتابه عن معاوية كان رسول الله ﷺ إذا سمع المؤذن يقول : حي على الفلاح قال : اللهم اجعلنا مفلحين » .

والفضيلة ، وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة .

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو قال : يارسول الله ، إن المؤذنين يفضلوننا . فقال رسول الله ﷺ « قل كما يقولون ، فإذا انتهيت فسل تعطه » وفي الترمذي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة » . قالوا : فماذا نقول يارسول الله ؟ قال « سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة » قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي سنن أبي داود عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « ثنتان لا تردان أو قلما تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » .

وفي سنن أبي داود عن أم سلمة قالت : علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك وحضور صلواتك ، فاغفر لي » . وفي سنن أبي داود عن بعض أصحاب النبي (١) ﷺ أن بلالا أخذ في الإقامة فلما أن قال قد قامت الصلاة قال النبي ﷺ « أقامها الله وأدامها » . فهذه خمس سنن في الأذان : إجابته ، وقول رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ، وسؤال الله تعالى لرسوله ﷺ الوسيلة والفضيلة ، والصلاة عليه ﷺ ، والدعاء لنفسه ماشاء . وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ، غفر الله ذنوبه (٢) » .

(١) لا يضر الشك في تعيين الصحابي لأن الصحابة كلهم عدول فلم يضر إبهام الراوي منهم ، بخلافه من غيرهم . . . ويستحب ان يقول السامع أقامها الله وأدامها ، وزاد في بعض الأحاديث « وجعلني من صالح أهلها » وحديث أبي داود في اسناده شهرين حوشب وفيه مقال .

(٢) إذا سمع المؤذن أو المقيم وهو يصلي لم يجبه في الصلاة فإذا سلم أجابه كما يجبه من لا يصلي ، فلو أجابه في الصلاة كره ولم تبطل صلاته وهكذا إذا سمعه على الخلاء لا يجبه في الحال ، فإذا خرج أجابه . فأما إذا كان يقرأ أو يسبح أو يقرأ حديثاً أو علماً آخر أو غير ذلك . فإنه يقطع جميع هذا ويجب المؤذن ثم يعود إلى ما كان فيه لأن الإجابة تفوت ، وما هو فيه لا يفوت غالباً ، وحيث لم يتابعه حتى فرغ المؤذن يستحب أن يتدارك المتابعة ما لم يطل الفصل . والله أعلم . راجع الاذكار للنووي .

الفصل العاشر

في اذكار الاستفتاح

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه « اللهم باعد بيني وبين خطيائي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من خطيائي كما ينقي الثوب الأبيض من الدُّنس ، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد ». وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة قال « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً (ثلاثاً) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفته وهمزه » قال : نفسه الشعر ونفخه وهمزه الموتة^(١) .

وفي السنن الأربعة عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » وهو صحيح مسلم عن عمر موقوف عليه . وفي صحيح مسلم عن ابن أبي طالب قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين : اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت

(١) الموتة : بواو ساكنة أي الجنون .

بذنبني ، فاعفّر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » وكان إذا ركع يقول في ركوعه « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ، ونخي وعظمي وعصبي » . وإذا رفع رأسه من الركوع يقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » . وإذا سجد يقول في سجوده « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت . سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم « اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، إنك أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت (١) » .

وفي صحيح مسلم عن عائشة كان رسول الله ﷺ يفتح صلاته إذا قام من الليل « اللهم رب جبريل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة . أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، أهدني لما اختلف فيه

(١) ليست هذه أذكار استفتاح وإنما هي أذكار تنظم الصلاة كلها في الركوع والسجود والجلوس إلى التشهد . . . قال النووي يستحب الجمع بين هذه الأذكار كلها لمن صلى منفرداً وللامام إذا أذن له المأمومون ، فأما إذا لم ياذنوا فلا يطول عليهم بل يقتصر على بعض ذلك وحسن اقتضاه على : وجهت وجهي . . إلى قوله من المسلمين . وكذلك المنفرد الذي يؤثر التخفيف . واعلم أن هذه الأذكار مستحبة في الفريضة والنافلة فلو تركه في الركعة الأولى عامداً أو ساهياً لم يفعل بعد ذلك لفوات محله ، ولو فعله كان مكروه ولا تبطل صلاته ، ولو كان مسبقاً أدرك الامام في إحدى الركعات أتى به إلا ان يخاف من اشتغاله به فوت الفاتحة فيشتغل بالفاتحة لأنها أكد فهي واجبة وهذه سنة . ولو أدرك المسبوق الامام في غير القيام اما من الركوع واما في السجود واما في التشهد أحرم معه واتى بالذكر الذي يأتي به الامام ولا يأتي بدعاء الاستفتاح في الحال ولا فيما بعد .

ومن صلاة الجنازة لا يستحب فيها دعاء الاستفتاح على الأصح لأنها مبنية على التخفيف . . . ودعاء الاستفتاح سنة ليس بواجب ، ولو تركه لم يسجد للسهو والسنة فيه الاسرار فلو جهر به كان مكروه ولا تبطل صلاته .

من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .» وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل « اللهم لك الحمد ، وأنت نور السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد أنت قيّام السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت . وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت . فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله إلا أنت .»

الفصل الحارمي عشر

في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدين

في السنن الأربعة عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع « سبحان ربي العظيم » ثلاث مرات (١) ، وإذا سجد قال « سبحان ربي الأعلى » ثلاث مرات . وفيه حديث علي رضي الله عنه وقد سبق في الفصل قبله بطوله . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم أغفر لي » وفي صحيح مسلم عنها رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده « سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ » . وفي سنن أبي داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة (٢) » .

(١) جاء في كتب السنن أنه ﷺ قال : « إذا قال أحدكم سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه » .
(٢) روي في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « فيما الركوع فعضموا فيه الرب » .

قال النووي : واعلم ان هذا الحديث الأخير هو مقصود الفصل ، وهو تعظيم الرب سبحانه وتعالى في الركوع بأي لفظ كان ، ولكن الأفضل ان يجمع بين هذه الأذكار كلها ان تمكن من ذلك بحيث لا يشق على غيره ، ويقدم التسييح منها ، فإن أراد الاقتصار فيستحب التسييح وادنى الكمال منه ثلاث تسييحات ولو اقتصر على مرة كان فاعلا لأصل التسييح ، ويستحب إذا اقتصر على البعض ان يفعل في بعض الأوقات بعضها ، ومن وقت آخر بعضها آخر ، وهكذا . . حتى يكون فاعلا لجميعها . . وكذا في أذكار جميع الابواب والتسييح سنة فلو تركه عمدا او سهواً لا =

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال « اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد . أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد : لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد^(١) » . وفي صحيح البخاري عن رفاة بن رافع رضي الله عنه قال ، كنا نصلي يوماً وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال « سمع الله لمن حمد » فقال رجل من ورائه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف قال « من المتكلم »؟ قال : أنا يا رسول الله . قال « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا الدعاء » وعنه رضي الله أن رسول الله كان يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي بذنبي كله ، دقه وجله ، وعلايته وسره » وقالت عائشة رضي الله عنها : افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد هما منصوبتان وهو يقول : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعاذتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » روى مسلم هذه الأحاديث^(٢) .

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول

تبطل صلاته ولا يأتهم ولا يسجد للسهر . . . وذهب الامام أحمد وجماعة إلى انه واجب ويكره قراءة القرآن في الركوع والسجود للأحاديث الصريحة في ذلك . . .

(١) قوله « ولا ينفع ذا الجد منك الجد » الجد هو الخط وقيل النعمة وقيل الغنى هذا بفتح الجيم ، اما بكسرهما فمعناه السرعة .

والمعنى ان صاحب الغنى أو الخط في الدنيا لا يغني عنه من الله شيئاً والله أعلم .

(٢) إذا سجد للتلاوة استحَبَّ ان يقول في سجوده ما ذكر في سجود الصلاة ويستحب ان يقول معه « اللهم اجعلها لي عندك ذخراً وأعظم لي بها أجراً ، وضع عني بها وزراً ، وتقبلها مني كما تقبلتها من داود عليه السلام » ويستحب ان يقول أيضاً « سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً » نصَّ الشافعي على هذا الأخير .

الله ﷻ يقول بين السجدين « اللهم اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني وارزقني » وفي السنن أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدين : « رب اغفر لي رب اغفر لي (١) » .

(١) إذا رفع المصلي رأسه من السجدة الثانية ، رفع مكبراً وجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن حركته سكونا بينما ثم يقوم إلى الركعة الثانية ، ويمد التكبير التي رفع بها من السجود إلى ان ينتصب قائماً ويكون المد بعد اللام من الله - أو يرفع بغير تكبير ويجلس للاستراحة فإذا نهض كبر ، أو يرفع من السجود مكبراً فإذا جلس قطع التكبير ثم يقوم بغير تكبير ، والأول أصح . ولا خلاف ، انه لا يأتي بتكبيرين في هذا الموضع . . والله أعلم .

الفصل الثالث عشر

في أدعية الصلاة بعد الشهد

في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إذا فرغ أحدكم من الشهد فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب القبر ، ومن عذاب جهنم ، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال . وفيها أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ يدعو في الصلاة « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم » فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال « إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف » وقد تقدم في الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاء أدعوه في صلاتي ، فقال « قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت . فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم » . وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر . وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال لرجل « كيف تقول في الصلاة » ؟ قال : أتشهد وأقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار . أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ . فقال النبي ﷺ « حولها دندندن »^(١) .

(١) الدندنة الكلام غير المفهوم وقوله حولها دندندن أي لا تخرج عن نطاق هذا الأمر وهو طلب الجنة والتعوذ من النار .

وفي المسند والسنن عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته « اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب » . وفي سنن النسائي أن عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا بدعوات وقال : سمعتهن من رسول الله ﷺ « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني إذا علمت الحياة وخيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي . اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفذ ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا مهتدين » .

الفصل الثالث عشر

في الاذكار المشروعة بعد السلام وهو أدب السجود

وفي صحيح مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » . وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند » . وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن الزبير رضي تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يهمل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « من سبح لله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر . وفي السنن عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال « خصلتان - أو خلتان - لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، هما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله في دبر كل

صلاة عشراً ، وبحمده عشراً ، ويكبره عشراً ، فذلك خمسون ومائة باللسان ،
وألف وخمسمائة في الميزان . ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ، ويحمد ثلاثاً
وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان « قال : ولقد
رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده . قالوا : يا رسول الله ، كيف هما يسير ومن
يعمل بهما قليل ؟ قال « يأتي أحدكم - يعني الشيطان - في منامه فينومه قبل أن
يقولها ، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها » . وفي السنن عن عقبه
ابن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة . وفي
النسائي الكبير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله « من قرأ آية الكرسي عقب
كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » يعني لم يكن بينه وبين دخول
الجنة إلا الموت .

الفصل الرابع عشر

في ذكر الشَّهْد

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : علمني رسول الله ﷺ الشَّهْد - وكفي بين كفيه - كما يعلمني السورة من القرآن « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الشَّهْد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول « التحيات المباركات للصلوات الطيبات لله . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » . وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أن النبي ﷺ علمهم الشَّهْد « التحيات الطيبات والصلوات لله . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ في الشَّهْد « التحيات لله والصلوات الطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب : أمرنا رسول الله ﷺ « إذا كان في وسط الصلاة أو حين انقضائها فابدأوا قبل السلام فقولوا : التحيات والصلوات الملك لله ، ثم سلموا على اليمين ثم على قارئكم وعلى أنفسكم » . وذكر مالك

في الموطأ أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول : قولوا التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فأي تشهد أتى به من هذه الشهادات أجزاءه . وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود ، وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس ، وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه ، والكل كاف يجزىء^(١) .

(١) اعلم ان الترتيب في التشهد مستحب ليس بواجب فلو قدم بعض على بعض جاز . . على رأي الجمهور ، وقيل لا يجوز كالألفاظ الفاتحة . ويدل للجواز تقديم السلام على لفظ الشهادة في بعض الروايات وتأخيره في بعضها وأما الفاتحة فالفاظها وترتيبها معجز فلا يجوز تغييره . ولا يجوز التشهد بالعجمية لمن قدر على العربية . ومن لم يقدر يتشهد بلسانه ويتعلم .
والسنة في التشهد الاسرار لإجماع المسلمين على ذلك . ولما رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال من السنة أن يخفي التشهد . . وهو في حكم المرفوع . فلو جهر به كره ولم تبطل صلاته ولا يسجد للسهو . والله أعلم .

في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

في الصحيحين عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد». وفي الصحيحين أيضاً عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم. إنك حميد مجيد».

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام كما قد علمتم»^(١).

وذكر ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن مسعود قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرؤن لعل ذلك يعرض عليه. قال فقالوا له:

(١) لعله أشار إلى السلام المذكور في التشهد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

فعلمنا. قال قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين،
وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك إمام الخير، ورسول الرحمة.
اللهم ابعثه مقاما يغطه به الأولون. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما
صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

الفصل السادس عشر عشر

في الاستخارة

في صحيح البخاري عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن ، إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمي حاجته - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به^(١) وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال « من سعادة ابن آدم استخارة الله ، ومن

(١) قوله إني أستخيرك : أي أطلب منك الخير أو الخيرة - قال في الحكم : استخار الله طلب منه الخير - قال في النهاية : خار الله لك ان أعطاك ما هو خير لك .
وقوله ومعاش : المعاش العيش والحياة .

قال العلماء : تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور ، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة ، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل ، ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية قل هو الله أحد ، ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء ويستحب افتتاح الدعاء المذكور ، ويختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ . ثم ان الاستخارة مستحبة في جميع الأمور كما صرح به الحديث الصحيح .
وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره والله أعلم .

سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ،
ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله .

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : ما ندم من استخار
الخالق ، وشاور المخلوقين ، وثبت في أمره . وقد قال سبحانه وتعالى :
﴿ وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ وقال قتادة : ما تشاور
قوم يبتغون وجه الله إلا هادوا إلى أرشد أمرهم^(١) .

(١) قيل : ماخاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، والاستخارة تربط المؤمن بربه .. قلبيا
ووجدانيا .. والاستشارة تساعد الانسان على اكتشاف ما يحيط به من تيارات اجتماعية ونفسية
فيسير المؤمن على نور من الله ، وحذر من الخلق .. والله أعلم .

الفصل السابع عشر

في اذكار الكرب والغم والحزن والهم

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » . وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حز به أمر قال « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » . وفيه أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أغمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال « سبحان الله العظيم » ، وإذا اجتهد في الدعاء قال « يا حي يا قيوم » .

وفي سنن أبي داود عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت » . وفي السنن أيضاً عن أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله ﷺ « ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب - الله الله ربي لا أشرك به شيئاً » . وفي رواية أنها تقال سبع مرات . وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له » وفي رواية « إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه ، كلمة أخي يونس عليه السلام » .

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال ما « أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك ابن أمك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ، عدلٌ في قضاؤك . أمألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته احداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك^(١) ، ان تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهب همي . الا اذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً » .

(١) فيه دليل ان الله سبحانه وتعنى اسماء غير التسعة والتسعين الاسم التي ذكرت في الأحاديث ..

قوله « أو استأثرت به » الاستئثار الانفراد بالشيء ..

قوله « ان تجعل القرآن ربيع قلبي » أي ان تجعل القرآن كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان ، وكذلك القرآن ربيع القلوب . أي يجعل القرآن مائلاً إليه ، راغباً من تلاوته وتدبره .

وقوله « ونور بصري » : سأله ان يجعله منور البصيرة ، والنور مادة الحياة ، وبه يتم معاش العباد . وسأله ان يجعله شفاء همه وغمه ليكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن إلى صحته واعتداله .. وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والاصدية .. والله أعلم .

الفصل الثامن عشر

في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكن أنهاراً ﴾^(١) وفي بعض المسانيد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »^(٢) . وذكر أبو عمر بن عبد البر في (التمهيد) له حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً^(٣) .

(١) سورة نوح : ١٠ : ١٢ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود وابن حبان والنسائي من حديث ابن عباس - وصححه ابن حبان ، وقد أخرج ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته ان يقول إذا خرج من بيته بسم الله على نفسه ومالي وديني ، اللهم رضي بقضائك ، وبارك لي فيما قدر لي حتى لا أحب تعجيل ما أجزت ولا تأخير ما عجت » .

(٣) جاء في تفسير ابن كثير : قال الخافظ بن مسعود في ترجمة عبد الله بن مسعود فساقه بسنده : إن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه فقال : ما تشتكي ؟ فقال : ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قال : رحمه ربي . قال ألا أمر لك بطيب ؟ قال الطيب أمرضني . قال إلا أمر لك بعطاء ؟ قال لا حاجة لي فيه . قال يكون لبناتك من بعدك . فقال : اتخشى على بناتي الفقر ؟ اني امرت بناتي بقرآن كل ليلة سورة الواقعة من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

الفصل التاسع عشر

في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانا وغيره

في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعذبك من شرورهم ». ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو « اللهم أنت عضدي وأنت ناصري وبك أقاتل ». وعنه ﷺ أنه كان في غزوة فقال « يا مالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستعين » قال أنس فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا خفت سلطانا أو غيره فقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، لا إله إلا أنت عز جارك ، وجل ثناؤك ». وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : حسبنا الله ونعم الوكيل إبراهيم ﷺ حين ألقى في النار . وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ .

الفصل العشرون

في الاذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قال في يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله . وقد قال تعالى : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾^(١) . وكان النبي ﷺ يقول « أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه هو السميع العليم ﴾^(٢) . وهو الأذان يطرد الشيطان كما تقدم . وعن زيد بن أسلم أنه ولي معادن فذكروا كثرة الجن فأمرهم أن يؤذنوا كل وقت ويكثروا من ذلك ، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئاً . وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال : يارسول الله ، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها عليّ ، فقال رسول الله ﷺ « ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً » ففعلت ذلك ، فأذهب الله

(١) سورة المؤمنون : ٩٧ - ٩٧ .

(٢) سورة فصلت : ٣٦ .

عز وجل عني . وأمر ابن عباس رجلا وجد في نفسه شيئا من الوسوسة والشك
أن يقرأ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾^(١) .
ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر .

(١) سورة الحديد : ٣ .

ويستحب ان ينادي بالأذان من خاف شيطانا أو توهمه فقد قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان إذا
نودي بالصلاة أدبر » .

الفصل الحاربي والعشرون

في الذكر الذي تحفظ به النعم وما يقال عند تجردها

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾^(١) فينبغي لمن دخل بستانه أو داره أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة ، فإنه لا يرى فيه سوءا . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال ﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ فيرى فيها آفة دون الموت » . وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » وإذا رأى ما يسوءه قال « الحمد لله على كل حال » .

(١) سورة الكهف .

الفصل الثاني والعشرون

في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ ^(١) . ويذكر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله ^(٢) فانها من المصائب » .

وقالت أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله تعالى في مصيبيته وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه ، رسول الله ﷺ .

وروي أيضاً عنها رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره ، فأغمضه ثم قال « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله فقال « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال « اللهم اغفر لابي سلمة وارفع درجته في المهديين ، وأخلفه في عقبه في الغابرين ، وأغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه » .

(١) سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ .

(٢) شسع النعل أي رباطه من جلد ونحوه .

الفصل الثالث والعشرون

في الذكر الذي يدفع به الدين وبرجى قضاؤه

في الترمذي عن علي رضي الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال : إني عجزت عن كتابتي فأعني ، فقال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً إلا أداه الله عنك ، قل « اللهم أكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عن سواك » قال الترمذي حديث حسن .

الفصل الرابع والعشرون

في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغثة وغيرهما

في صحيح البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنها قال :
كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول « إن أباكما
إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعيدكما بكلمات الله التامة ، من كل
شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة^(١) ، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغا بفاتحة الكتاب فجعل
يتفل عليه ويقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فكأنما نشط من عقال ، فانطلق
يمشي وما به قلبه^(٢) الحديث .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى
الانسان الشيء أو كانت قرحة به أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا - ووضع
سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها - وقال « بسم الله ، تربة أرضنا ،
بريقة بعضنا ، يشمي به سقيمنا ، بإذن ربنا » . وفي الصحيحين أيضا عنها رضي
الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول « اللهم

(١) الهامة : بتشديد الميم وهي ذات سم كالحية وغيرها - الجمع هوام وقد يطلق على الحيوان
والحشرات وإن لم يقتل .

أما العين اللامة بتشديد الميم أيضاً . فهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء .

(٢) القلبة : العلة والألم . . . (بفتح القاف) .

ربّ الناس ، أذهب الباس ، وأشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما . وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكّا إلى رسول الله وجعا يجده في جسده منذ أسلم ، فقال النبي ﷺ « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله - ثلاثا - وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وما أحاذر . »

وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم . أن يشفيك ويعافيك ، إلا عافاه الله تعالى . » وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض ، أغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع » فيبرأ^(١) .

(١) أخرجه أبو داود في باب كيف الرقى . . حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي أخبرنا الليث عن زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد أبي الدرداء . قال المناوي : وأخرجه النسائي من حديث محمد بن كعب عن أبي الدرداء ولم يذكر فضالة . .
ومن أسناده : زياد بن محمد الأنصاري قال أبو حاتم الرازي منكر الحديث وقال ابن حبان منكر الحديث جدا يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك . والله أعلم .

الفصل الخامس والعشرون

في ذكر دخول المقابر

في صحيح مسلم عن بريدة قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا من المقابر أن يقول قائلهم « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » . وفي سنن ابن ماجة عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم » (١) .

(١) روي في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ كلما كان ليبتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ؟ وأتاكم ماتوعدون ، غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم أغفر لأهل بقيع الفرقد » . هذا : ويستحب للزائر الاكثار من قراءة القرآن والذكر ، والدعاء لأهل تلك القبرة وسائر الموق والمسلمين أجمعين ، ويستحب الاكثار من الزيارة ، وإن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل . حتى يأخذ العبرة والقدوة . . أما زيارات الأفرحة . . فبدعة لا تفيد بل تضر . . والله أعلم .

في ذكر الاستسقاء

قال تعالى : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ . عن جابر بن عبد الله قال : أتت النبي ﷺ بواك فقال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئاً مريعاً ، نافقاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل » فأطبقت عليهم السماء . وعن عائشة : شكوا الناس إلى رسول الله ﷺ فحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المعلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعده على المنبر فكبر وحمد الله عز وجل ثم قال « إنكم شكوتم جذب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم . وقد أمركم الله سبحانه وتعالى أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم » . ثم قال « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد . اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغاً إلى حين » ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حول إلى الناس ظهره ، وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على الناس فنزل فصلى ركعتين ، فانشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت . ثم أمطرت بإذن الله تعالى ، فلم يأت مسجده حتى سألت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى السكن ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال « أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله » . وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو : كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال « اللهم

اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحيي بلدك الميت . قال الشعبي :
خرج عمر يستسقي ، فلم يزد على الاستغفار . فقالوا : مارأيناك استسقيت ،
فقال : لقد طلبت الغيث بمحاديح السماء التي يستنزلون بها المطر . ثم قرأ
﴿ استغفروا ربكم انه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ ، ﴿ وأن
استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ﴾ الآية (١)

(١) المحاديح واحدها مجدح . وهو نجم . . وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر .
والمستحب ان يقرأ في صلاة الاستسقاء ما يقرأ من صلاة العيد ، ويكبر من افتتاح الأولى سبع
تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات كصلاة العيد ويجوز ان تكون الخطبة قبل صلاة الاستسقاء أو
بعدها . . وتكون الصلاة في المصلى شأن صلاة العيد والله أعلم .

الفصل السابع والعشرون

في اذكار الريح إذاهاجت

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول « الريح من روح الله تعالى ، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب . فإذا رأيتموها فلا تسبها ، واسألوا الله من خيرها ، واستعينوا بالله من شرها » رواه أبو داود . وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به » . وفي سنن أبي داود عن عائشة أيضاً رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئا في أفق السماء ترك العمل - وإن في صلاة - ثم يقول « اللهم إني أعوذ بك من شرها » فإن مطرت قال « اللهم صبها هنيئا »

الفصل الثامن والعشرون

في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال : سبحان الذي ﴿ يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ﴾ . وعن كعب أنه قال : من قال ذلك ثلاثا عوفي من ذلك الرعد . وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك » (١) .

(١) وقد عرف ان الرعد يتولد من احتكاك السحب بعضها ببعض مما يتولد معه شحنات كهربية يمكن ان تهلك لو زادت واشتدت فسبحان من سخر السحاب بين السماء والأرض .

الفصل السابع والعشرون

في الذكر عند نزول الغيث

في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء^(١) كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب »^(٢) وقد قيل : إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب . وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا رأى المطر قال « صيبا نافعا » . وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر ، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر ، فقلنا : يارسول الله ، لم صنعت هذا ؟ قال « لأنه حديث عهد بربه »

(١) سماء : يعني المطر .

(٢) قال العلماء : إن قال مسلم : مطرنا بنوء كذا مريداً أن النوء هو المجد والفاعل المحدث للمطر صار كافراً مرتداً بلا شك ، وإن قاله مريداً أنه علامة لنزول المطر فينزل المطر عند هذه العلامة ، ونزوله بفعل الله تعالى وخلقه سبحانه لم يكفر ، واختلفوا في كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار . وهذا ظاهر الحديث ونص عليه الشافعي رضي الله عنه .

الفصل الثالثون

في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

في الصحيحين عن أنس قال : دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » قال أنس : والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة^(١) ، وما بيننا وبين سلع من ينيان^(٢) ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس سنا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله بمسكها عنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب^(٣) ويطون الاودية ومنابت الشجر » قال : فأقلعت ، وخرجنا ثمشي في الشمس .

(١) القزعة : قطع من الغيم جمعها قزع .

(٢) سلع : جبل من المدينة .

(٣) الآكام : مفردا أكمة . . . وهي المرتفع من تل أو هضبة .

الظراب : جمع ظرب بكسر الراء أو تسكينها : الجبل المنبسط الذي ليس بالعالى .

الفصل الحادي والثلاثون

في الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال « الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى . ربنا وربك الله » (١) . وفي سنن أبي داود عن قتادة أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد . آمنت بالله الذي خلقك » ثلاث مرات . ثم يقول « الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا » (٢) .

(١) رواه الطبراني قال من مجمع الزوائد : في إسناده عثمان بن إبراهيم الحاطبي وفيه ضعف وبقيه رجاله ثقات .

(٢) رواه أبو داود مرسلًا . . وفي بعض نسخ سنن أبو داود: ليس من هذا الباب عن النبي ﷺ حديث صحيح .

الفصل الثاني والثلاثون

في الذكر للصائم وعند فطره

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، رواه الترمذي وقال : حديث حسن . وروى ابن ماجه عن ابن أبي ملكية عن عبدالله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد »^(١) قال ابن أبي ملكية : سمعت عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا افطر يقول : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي . ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطر قال « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت »^(٢) ومن وجه آخر « اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرتنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم »^(٣)

(١) رواه ابن ماجه عن عبدالله بن أبي ملكية عن عمرو بن العاص وأخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي عمرو ..

(٢) رواه ابن السنني بلفظ آخر ، ورواه أبو داود مرسلًا عن معاذ بن زهرة .

(٣) رواه ابن السنني عن ابن عباس .

الفصل الثالث والثلاثون

في اذكار السفر

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً ». وفي مسند الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من أراد سفراً فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ». وفي المسند أيضاً عن عمر عن النبي ﷺ قال « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » .

وقال سالم : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفراً : أدن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا ، فيقول « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » . ومن وجه آخر كان النبي ﷺ إذا ودع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع النبي ﷺ . وذكر تمام الحديث . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وقال أنس رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أريد سفراً فزودني . فقال « زودك الله التقوى » قال زدني . قال « وغفر ذنبك » قال زدني . قال « ويسر لك الخير حيث ما كنت » قال الترمذي : حديث حسن . وعن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إني أريد أن أسافر

فأوصني . قال « عليك بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف »^(١) فلما ولى
الرجل قال « اللهم أطوله البعد ، وهون عليه السفر » قال الترمذي حديث
حسن .

(١) شرف : مكان مرتفع . . . وقوله أطوله : أي قرب له .

الفصل الرابع والثلاثون

في ركوب الدابة والذكر عنده

قال علي بن ربيعة : شهدت علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله . فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ثم قال ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾^(١) ثم قال : الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ثم ضحك . فقيل : يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت ؟ فقال : رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك . فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت ؟ فقال « ان ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي . يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري » رواه أهل السنن وصححه الترمذي .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ اللهم نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوِّ عنا بُعدَه ، أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم

(١) سورة الزخرف : ١٣ - ١٤ .

إني أعوذ بك من وعشاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والاهل «
وإذا رجع قاهن وزاد فيهن « آييون تائبون عابدون لربنا حامدون » وفي وجه
آخر : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا علوا الثنايا كبروا ،
وإذا هبطوا سبحوا .

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر الرجوع من السفر

قال عبدالله بن عمر : كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو أعتمر يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ثم يقول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، وهزم الأحزاب وحده » رواه البخاري ومسلم .

الفصل السادس والثلاثون

في الذكر على الدابة إذا استصعبت

قال يونس بن عبيد : ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها ﴿ أفغير دين الله ييغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وإليه يرجعون ﴾^(١) الا وقفت بإذن الله تعالى . قال شيخنا قدس الله روحه : وقد فعلنا ذلك فكان كذلك^(٢) .

(١) سورة آل عمران : ٨٣ .

(٢) رواه ابن السنني في كتابه عن أبي عبدالله يونس بن عبيد بن دينار البصري التابعي

الفصل السابع والثلاثون

في الدابة اذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا ، فإن الله عز وجل حاضرا سيحبسه (١) .

(١) رواه ابن السني والبخاري وأبو يعلى والطبراني وإسناده ضعيف . قال النووي : حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم انه انفلتت له دابة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليهم من الحال ، وكنت مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام . أ. هـ .

الفصل الثامن والثلاثون

في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يقرية يريد دخولها إلا قال حين يراها «اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها» رواه النسائي .

الفصل التاسع والثلاثون

في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره حتى يرتحل من منزله ذلك » رواه مسلم . وعن عبدالله بن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك . وأعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد » رواه أبو داود^(١) .

(١) أسود : الشخص .. فكل شخص يسمى أسود .
ساكن البلد : هم الجن الذين هم سكان الارض - والبلد من الأرض ما كان مأوى الحيوان وان لم يكن فيه بناء ومنازل .
ويحتمل أن يكون المراد بالوالد إبليس ، وما ولد : الشياطين . قال الخطابي .

الفصل الأربعون

في ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١) . وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه : قال لي رسول الله ﷺ « يا بني ، سم الله تعالى وكل بيمينك ، وكل مما يليك » (٢) متفق عليه . وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال أمية بن مخشى رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل ، فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقيمة ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ، فضحك النبي ﷺ ثم قال « مازال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله تعالى استقام ما في بطنه » رواه أبو داود .

وقال رسول الله ﷺ « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه . وقال أبو هريرة : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن

(١) سورة البقرة .

(٢) فيه الأدب كي لا يتطلع الانسان إلى ما في يد الآخرين فعليه ألا يمد يده أمام غيره ممن يجلسون معه على المائدة .

اشتهاه أكله وإلا تركه . متفق عليه . وعن وحشي أن أناسا قالوا : يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ، قال « ولعلكم تفترقون »؟ قالوا : نعم . قال « فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه » رواه أبو داود . وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل أو شرب فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » قال الترمذي حديث حسن . وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » رواه أبو داود والترمذي . وذكر النسائي عن رجل خدّم النبي ﷺ أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول « بسم الله » وإذا فرغ من طعامه قال « اللهم أطعمت وسقيت ، وأغنيت وأقنيت ، وهديت واجتبيت ، فلك الحمد على ما أعطيت » . وفي صحيح البخاري عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال « الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه ، غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا »

الفصل الحادي والأربعون

في ذكر الضيف إذا نزل بقوم

عن عبدالله بن بسر قال : نزل رسول الله ﷺ على أبي ، فقربنا إليه طعاما ووطبة^(١) فأكل منها ، ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين أصبعيه ويجمع السبابة والوسطى « قال شعبة : هو ظني ، وهو فيه إن شاء الله إلقاء النوى^(٢) . ثم أتى بشراب فشربه ، ثم ناوله الذي عن يمينه . قال فقال أبي - وأخذ بلجام دابته - : ادع الله تعالى لنا ، فقال « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم وارحمهم » رواه مسلم .

وعن أنس أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وبزيت فأكل ، ثم قال النبي ﷺ « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود . وعن جابر قال : صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي ﷺ طعاما ، فدعا النبي ﷺ وأصحابه ، فلما فرغوا قال « أثيبوا أحاكم » قالوا يارسول الله وما إثابته ؟ قال « ان الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرابه فادعوا له فذلك اثابته »^(٣) رواه أبو داود .

(١) الوطبة : الحيس (يجمع التمر البرني والأقط المدقوق والسمن) .
(٢) معناه أن شعبة - راوي الحديث - قال : الذي أظنه ان إلقاء النوى المذكور في الحديث وقد جزم بهذا في الرواية الأخرى فكانه تذكر ما كان مترددا فيه . والله أعلم .
(٣) يستحب الدعاء لصاحب الضيافة . كما يستحب بتناول الشراب من يمين الشارب . والله تعالى أعلم .

الفصل النافى والأدبوعون

في السلام

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أي الاسلام خير؟ قال « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »^(١) متفق عليه . وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه أبو داود .

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما : ثلاث من جمعهن جمع الايمان ، الانصاف من نفسك^(٢) ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار^(٣) . ذكره البخاري . وقال عمران بن حصين : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ، ثم جلس . فقال النبي ﷺ « عشر » . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ، فجلس . فقال « عشرون » . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه ، فجلس . فقال « ثلاثون » قال الترمذي حديث حسن . وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « إن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام » قال الترمذي حديث حسن . وخرج

(١) قال تعالى « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

(٢) الانصاف من نفسك : أي الاعتراف بالحق ولو على نفسك .

(٣) الانفاق من الاقتار : أي الثقة في سبيل الله رغم حاجة المنفق .

أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يجزيء^(١) عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم » وقال أنس : مر النبي ﷺ على صبيان يلعبون فسلم عليهم . حديث صحيح . وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، الأولى بأحق من الآخرة »^(٢) .

(١) يجزي أي يكفي .

(٢) المعنى في تكرير السلام المبالغة في تأكيد الدعاء للمؤمنين لأنه - كما وصفه الله تعالى - رؤفا رحيمًا .

قال ابن رزين في جمعه .

وأقل السلام الذي يصير به مسلمًا مؤديًا سنة السلام ان يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه ، فإن لم يسمعه لم يكن آتيا بالسلام ، فلا يجب الرد عليه ، وأقل ما يسقط به فرض رد السلام أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم فإن لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد .

والمستحب رفع الصوت حتى يسمعه من يسلم عليهم ، أما إذا سلم على أيقاظ عندهم ينام فالسنة ان يخفض صوته بحيث يحصل سماع الأيقاظ ولا يستيقظ النيام .

أما إذا سلم للاستئذان فعليه أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له . . . وإلا رجع والله أعلم .

الفصل الثالث والأربعون

في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ « ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان على كل من سمعه أن يقول : يرحمك الله . وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه » رواه البخاري . وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » رواه البخاري . وفي لفظ أبي داود « الحمد لله على كل حال » وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته ، فإن لم يحمد الله فلا تشمته » (١) .

(١) إذا قال العاطس لفظاً آخر غير (الحمد لله) لم يستحق التشميت . فإذا عطس في صلاته يستحب أن يقول الحمد لله ويسمع نفسه . . وهو الأولى ، ومن السنة إذا جاءه العطاس ان يضع يده أو ثوبه أو نحو ذلك على فمه . والله أعلم .

الفصل الرابع والأربعون

في ذكر النكاح والنهئة به وذكر الدخول بالزوجة

قال ابن مسعود : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة « الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » وفي رواية زيادة : أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصمها فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١) * ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً ﴾^(٢) * ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾^(٣) رواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي : حديث حسن . وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفاً الانسان إذا تزوج قال « بارك الله لك ، وبارك عليكما ، وجمع بينكما في

(١) سورة آل عمران .

(٢) سورة النساء : ٣ .

(٣) سورة الأحزاب .

هذه الخطبة سنة لو لم يأت بشيء منها صح النكاح باتفاق العلماء وحكي عن داود الظاهري رحمه الله أنه قال : لا يصح ولكن العلماء المحققون لا يعدون خلاف داود خلاف معتبر ولا ينحرق الاجماع بمخالفته والله أعلم .

خير» قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده عن النبي ﷺ قال « إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل :
اللهم إني أسألك خيرا وخيرا ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما
جبلتها عليه . وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك » رواه أبو
داود . وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إن أحدكم إذا أتى
أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضى
بينها ولد لم يضره الشيطان أبدا » (١)

(١) ومن أدب الزوج مع أصهاره الا يخاطب أحداً من أقارب زوجته بلفظ فيه ذكر الجماع أو التلميح
بما يتصل به من أنواع الاستمتاع . راجع الأذكار للنووي ص ٢٥٢ .

الفصل الخامس والأربعون

في الذكر عند الولادة والذكر المنعلق بالولد

يذكر أن فاطمة رضي الله تعالى عنها لما دنا ولادها أمر النبي ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيان فتقرأ عليهما آية الكرسي ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾^(٥) إلى آخر الآيتين، وتعوذانها بالمعوذتين. وقال أبو رافع: رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة. قال الترمذي حديث حسن صحيح. ويذكر عن الحسين بن علي قال: قال رسول الله ﷺ من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضربه أم الصبيان». وقالت عائشة: كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم. رواه أبو داود. وقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنها بالصبيان: إن النبي ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه^(٦) والعق. قال الترمذي حديث حسن. وقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم، وإبراهيم بن أبي موسى، وعبدالله بن أبي طلحة، والمنذر بن أسيد قريبا من ولادتهم. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، فأحسنوا أسماءكم» ذكره أبو داود. وذكر مسلم عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبدالله وعبدالرحمن» وعن أبي وهب الجشمي

(١) سورة الأعراف . .

(٢) العق أي صنع العقيقة للمولود . . وهي الوليمة له . .

رضي الله عنه قال: قال رسول الله «تسموا بأسماء الأنبياء، وإن أحب الأسماء إلى الله عز وجل عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة» رواه أبو داود والنسائي. وغير النبي ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة، فغير اسم برة إلى زينب، وغير اسم حزن إلى سهل، وغير اسم عاصية فسامها جميلة، وغير اسم أصرم إلى زرعة، وسمى حرباً سلماً، وسمى المضطجع المنبعث، وسمى أرضاً يقال لها عفرة خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزينة سماهم بني الرشدة^(١).

(١) قال تعالى « ولا تتابزوا بالألقاب » وقد اتفق العلماء على تحريم تلقيب الانسان بما يكره سواء كان صفة له كالاعمش والاعرج . . أو كان صفة لأبيه أو لأمه أو غير ذلك مما يكره . . والله أعلم .

الفصل السادس والأربعون

في صياح الديكة والنهيق والنباح

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا سمعتم نهيق الحمير فتعودوا بالله من الشيطان فإنها رأّت شيطانا، وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأّت ملكا ». وفي سنن أبي داود عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعودوا بالله منهن ، فإنهن يرين ما لا ترون » رواه أبو داود .

الفصل السابع والأربعون

في الذكر يطفأ به الحريق

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا رأيتم الحريق فكبروا ، فإن التكبير يطفئه » (١) .

(١) أخرجه ابن السني ، وروى أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اطفئوا الحريق بالتكبير » ومن إسناده راو لم يسم ، ومعناه - والله أعلم - ان التكبير يساعد على إطفاء الحريق ويقوي الهمم والعزائم . . .

الفصل الثامن والأربعون

في كفارة المجلس

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ، إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك » قال الترمذي حديث حسن صحيح . وفي حديث آخر أنه إن كان في مجلس خير كان كالطابع له ، وإن كان في مجلس تخليط كان كفارة له . وفي السنن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان لهم حسرة »^(١) وعن ابن عمر قال : قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوا بهؤلاء الكلمات لأصحابه « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مضار الدنيا ، اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا . ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » قال الترمذي حديث حسن .

(١) والحسرة هنا - للمؤمن فيتحسر على ما فاته من ثواب ودرجات في الجنة والله أعلم .

الفصل الرابع والأربعون

فَمَا يَقَاكَ وَيَفْعَلُ عِنْدَ الْغَضَبِ

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) . وقال سليمان بن صُردَ : كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان (٢) أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه » متفق عليه . وعن عطية بن عروة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار الماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أبو داود . وفي حديث آخر أنه أمر من غضب إن كان قائما أن يجلس ، وإن كان جالسا أن يضطجع .

(١) سورة الأعراف : ٢٠٠ ، سورة فصلت : ٣٦ .

(٢) يستبان أي يسب كل منها صاحبه .

الأوداج : الودج بفتحين والوداج بالكسر عرق في العنق وهما ودجان . والمقصود : اشتد غضبه .

الفصل الخمسون

فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ رُؤْيَةِ أَهْلِ الْبَلَاءِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من رأى مبتلياً فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً ، لم يصبه ذلك البلاء » وقال الترمذي حديث حسن (١) .

(١) قال العلماء ينبغي ان يقول هذا الذكر سراً بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلي لئلا يتألم قلبه بذلك إلا ان تكون بليته معصية فلا بأس ان يسمعه ذلك ان لم يخف من ذلك مفسدة والله أعلم ..

الفصل الحادي والخمسون

في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » (١) رواه الترمذي . وعن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال « بسم الله ، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها . اللهم إني أعوذ بك أصيب بها يمينا فاجرة ، أو صفقة خاسرة » (٢) .

(١) في رواية زيادة « وبنى له بيتا في الجنة » وفيه من الزيادة : قال الراوي فقدمت خراسان فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت : أتيتك هدية فحدثته بالحديث فكان قتيبة بن مسلم يركب في موكبه حتى يأتي السوق فيقولها ثم ينصرف .

(٢) خير هذه السوق : أي انها ومكانها .
خير ما فيها أي مما ينتفع به من الأمور الدنيوية ، ويستعان به على القيام بوظائف العبودية ، وللوسائل حكم المقاصد .

شرها : أي ذاتها أو مكانها لكونه مكان إبليس . شر ما فيها : أي مما يشغل عن ذكر الرب سبحانه أو مخالفته من غش وخيانة أو ارتكاب عقد فاسد وأمثال ذلك .
يمينا فاجرة : أي حلفا كاذبا . . . يقتطع بها صعد المسلم .

صفقة خاسرة : أي عقدا فيه خسارة دنيوية أو دينية وذكرهما تخصيص بعد تعميم لكونها أهم ووقوعها أغلب . قال ابن الجزري وقوله صفقة أي بيعة ومنه أخاهم الصفق بالأسواق أي التبايع . أ. هـ .

الفصل الثاني والخمسون

في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش قال : كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك ، فذكر محمداً فكأنما نشط من عقال . وعن مجاهد رحمه الله قال : خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال : اذكر أحب الناس إليك فقال : محمد ﷺ ، فذهب خدره (١)

(١) ليس في هذا ما يثبت ان زوال الخدر يكون بذكر النبي ﷺ . . بل انهم قالوا اذكر أحب الناس إليك . . فرجما ذكر زوجا أو صديقا . . والله أعلم .

الفصل الثالث والخمسون

في الدابة إذا عثرت

عن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته ، فقلت : تعس الشيطان . فقال « لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاضم حتى يكون مثل البيت . ولكن قل : بسم الله ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب »^(١) .

(١) ان الشيطان يتعاضم لأنه يكون قد أصاب من المؤمن شيئا ، إذ غفل المؤمن عن ذكر الله . . . ومن ذلك ما يفرح الشيطان ، ثم ان الشيطان يتعاضم حينما يرى ابن آدم يدعو عليه بالتعاسة فلا يهمله ذلك فهل دعوة الانسان على الشيطان بالتعاسة أشد من لعنة الله للشيطان ؟ ولكن إذا ذكر المؤمن اسم الله . . . فإن الشيطان يتضاءل ولا يجد له سبيلا على هذا الذكور والله أعلم .

الفصل الرابع والخمسون

في من أهدى هديّة أو تصدق بصدقة فدعاه ، ماذا يقول؟

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال « اقتسميها » . وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول : ما قالوا ؟ تقول الخادم قالوا : بارك الله فيكم . تقول عائشة رضي الله عنها . وفيهم بارك الله . نرد عليهم مثل ما قالوا ، ويبقى أجرنا لنا^(١) . وقد روى عنها في الصدقة مثل ذلك .

(١) اخرج ابن السني . . وسلوك السيدة عائشة رضي الله عنها يوحي بأهمية الحرص على المكافأة استبقاء للفضل عند الله تعالى وهذا تنبيه لأولئك الذين يسعدون عندما يسمعون عبادات الثناء من غيرهم ، ويقر أعينهم حينها يرون علامات الامتنان على المحتاجين وكأنهم يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون . .

الفصل الخامس والخمسون

فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى ، فقال رسول الله ﷺ « مسح الله عنك يا أبا أيوب بما تكره » وفي لفظ آخر « لا يكن بك سوء يا أبا أيوب »^(١) . وعن عمر رضي الله عنه : أنه أخذ عن رجل شيئاً ، فقال الرجل : صرف الله عنك السوء . فقال عمر رضي الله عنه : صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا . ولكن إذا أخذ عنك شيئاً فقل أخذت يداك خيراً »^(٢) .

(١) رواه ابن السني عن سعيد بن المسيب .

(٢) رواه ابن السني أيضاً عن عبدالله بن بكر الباهلي .

الفصل السادس والخمسون

في رؤية بأكورة الثمرة

قال أبو هريرة رضي الله عنه : كان الناس إذا رأوا الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فقال « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدُننا » ثم يعطيه أصغر من يحضره من السولدان . رواه مسلم .

الفصل السابع والخمسون

في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ (١) .

وقال النبي ﷺ «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» حديث صحيح . ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال «إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليتبرك عليه (٢)، فإن العين -حق- . ويذكر عنه ﷺ أنه قال « من رأى شيئاً فأعجبه فليقل : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله » .

ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال «اللهم بارك لنا فيه ولا تضره» . وقال أبو سعيد : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الانسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما . قال الترمذي حديث حسن . ورواه ابن ماجه في سننه .

(١) سورة الكهف : ٣٩ .

(٢) أي يدعو له بالبركة أو يذكر نعمة الله عليه .

الفصل الثامن والخمسون

في الفأل والطيرة

قال النبي ﷺ « لا عدوى (١) ولا طيرة ، اصدقها الفأل (٢) » قيل : وما الفأل ؟ قال « الكلمة الحسنة يسمعها الرجل » وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل ، كما كان في سفر الهجرة فلقبهم رجل فقال « ما اسمك ؟ » قال بريدة . قال « برد أمرنا » . وقال ﷺ « رأيت في منامي كأني في دار عقبة بن رافع وأتينا من رطب ابن طاب ، فأولتها الرفعة لنا في الدنيا ، والعاقبة لنا في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب » .

وأما الطيرة فقال معاوية بن الحكم : قلت يارسول الله منا رجال يتطيرون . قال « ذلك شيء تجدون في صدوركم فلا يصدنكم » وهذه الأحاديث

(١) قول النبي ﷺ : (لا عدوى) أي بالمرض .. فالعدوى ليست على إطلاقها إذ أن المريض يمرض بمرض معد لا يلزم أن يعدي كل من حوله أو كل من يتصل به ، بل إنه يعدي فقط من لديه استعداد لتلقي الميكروب بأن يكون جسمه لا يحمل المناعة الكافية ، وقد قيل للنبي ﷺ « فإنا نضع الجمل الأجرى وسط الجمال فيعديها .. قال لهم : فمن أعدي الأول ؟ إذن فالقضية قضية استعداد الجسم ومناعته ، وهذا ما أكده الطب الحديث والله أعلم .

(٢) والطيرة .. التشاؤم .. وهو دافع نفسي سلبى .. يدفع بصاحبه إلى العجز والخوف والانطواء .. ولذلك فقد رفضه الإسلام .. لأن هذا شيء يجذونه في الصدور .. ولا حقيقة له ..

أما الفأل وهو الكلمة الحسنة أو الرؤيا الطيبة فهي دوافع داخلية يمكن أن تستمر لصالح الإنسان وتقدمه .. ولهذا نبه عليه النبي ﷺ . والله أعلم .

في الصحاح . وعن عقبه بن عامر قال : سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة فقال
« أصدقها الفأل ، ولا ترد مسلما . وإذا رأيت من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا :
اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسئآت إلا أنت ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله » .

الفصل التاسع والخمسون

في الحمام

يذكر عن أبي هريرة أنه قال : نعم البيت الحمام يدخله المسلم ، إذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ به من النار^(١) .

(١) أخرجه ابن السني بسند ضعيف مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال في نزل الأبرار . وفي النفس من هذا الحديث شيء .

أقول - والله أعلم - ليس في هذا تفسير من الحمام أو دعوة لتجنب الذهب إليه . . فقد حث الإسلام على النظافة ثم ان الاثر من قول أبي هريرة كما ذكره المصنف . . ولعل التضعيف المشار إليه للمرفوع دون الموقوف .

الفصل الستون

في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث »^(١) وزاد سعيد بن منصور « بسم الله ». وفي مسند الامام أحمد عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ « ان هذه الحشوش محتضرة »^(٢) . فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « لا يعجز أحدكم إذا دخل موقعه أن يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » .

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول : بسم الله » . وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال « غفرانك » رواه الإمام أحمد وأهل السنن . وفي سنن ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال « الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني » .

(١) الخبث بضمين جمع خبيث - والخبائث جمع خبيثة ولعله يقصد الجن والشياطين .
(٢) الحشوش بضم الحاء مفردها حش بفتح الحاء ، وهو الكنيف وما إليه . وقوله محتضرة : أي مسكن الجن والشياطين والهوام .

الفصل الحادي والستون

في الذكر عند إرادة الوضوء

ثبت في النسائي عنه عليه السلام أنه وضع يده في الجفنة^(١) وقال «توضأ بيسم الله» وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل ، وفيه «يا جابر ناد بوضوء» فقلت : ألا وضوء؟ ألا وضوء؟^(٢) وفيه فقال «خذ يا جابر فصب عليّ وقل : بسم الله» فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي المسند والسنن من حديث سعد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» قال البخاري : هذا أحسن شيء في هذا الباب .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» رواه الامام أحمد وأبو داود . وفي المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» .

(١) الجفنة - جمعها جفان وهي الأواني والأوعية .

(٢) كأنه يبحث عنه ويسأل : هل من أحد معه وضوء؟

الفصل الثاني والستون

في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ». وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والامام أحمد « فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »

وفي سنن النسائي عن أبي سعيد الخدري قال : من توضأ ففرغ من وضوئه وقال : سبحانك اللهم ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، طبع عليها بطابع ، ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة . هكذا رواه من قول أبي سعيد رضي الله عنه . وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل وضوء فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة الأربعة ، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ (١)

(١) اخرج النسائي وابن السني في كتابيهما (عمل اليوم والليلة) بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ بوضوء فتوضأ فسمعتة يدعو ويقول : اللهم أغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي من رزقي . فقلت يا نبي الله سمعتك تدعوا بكذا =

الفصل الثالث والستون

في ذكر صلاة الجنازة

في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول « اللهم أغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر » قال حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ، لدعاء رسول الله ﷺ . وفي لفظ « وقه فتنة القبر وعذاب النار » . وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال « اللهم أغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأثاننا . اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده » . وفي سنن أبي داود أيضاً عن وائلة بن الأسقع قال : صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فأسمعه يقول « اللهم أن فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحمد ، اللهم فاغفر له وارحمه أنك أنت الغفور الرحيم » .

وكذا . قال : وهل تركن من شيء ؟

ترجم ابن السني لهذا الحديث : باب ما يقول بين ظهرائي وضوئه . وأما النسائي فأدخله في باب : ما يقول بعد فراغه من وضوئه . وكلاهما محتمل . والله أعلم .

وسأل مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنائز ؟
قال « اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت
روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلايتها ، جئنا شفعا فاعفر له » رواه الامام أحمد
وأبو داود^(١) .

(١) الصلاة على الجنائز أربعة تكبيرات متتالية .. وقوفا .. لا ركوع فيها ولا سجود يقرأ عقب
التكبير الأولى الفاتحة - ثم عقب الثانية يصلي على النبي ﷺ (ويفضل ان يصلي عليه الصلاة التي
في التشهد) وبعد الثالثة يدعو للميت ويخلص له كما لو كان يدعو لنفسه ، وبعد الرابعة يدعو لنفسه
وللمسلمين ثم يسلم تسليمين ..
ولوفات المصلي بعض التكبيرات (أي دخل الصلاة على الجنائز عقب التكبير الثانية مثلا .. أو
غيرها .. وفاته تكبيرة أو أكثر) فعليه أن يدخل الصلاة ويحرم (أي يكبر تكبيره الاحرام) مع
الامام ثم يقرأ الفاتحة ثم ما بعدها على ترتيب نفسه ولا يوافق الامام فيما يقرؤه .. وإذا سلم
الامام وقد بقي على المسبوق في الجنائز بعض التكبيرات لزمه أن يأتي بها مع أذكراها على
الترتيب .
فإذا أدرك المسبوق الامام في التكبير الأولى ولم يتمكن من الذكر سقط عنه وواصل مع الامام باقي
التكبيرات لأنه لم تفته التكبيرة . والله أعلم .

الفصل الرابع والستون

في الذكر اذا قال هجراً أوجرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل

ثبت عن النبي ﷺ « من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى ، فليقل لا إله إلا الله . ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق . فكل من حلف بغير الله فقد أشرك » حديث صحيح .

فهذا كفارة لان النبي ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » حديث صحيح ، وكفارة الشرك التوحيد وهو كلمة لا إله إلا الله . ومن قال تعال أقامرك فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل ، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار وهو إخراج المال بحق في مواضعه وهو الصدقة . وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه : حلفت باللات والعزى - وكان العهد قريباً - فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال « قد قلت هجراً ، قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وانفث عن يسارك سبعا ، ولا تعد » .

الفصل الخامس والستون

فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبي ﷺ أن كفارة الغيبة^(١) أن تستغفر لمن اغتابته تقول « اللهم اغفر لنا وله » ذكره البيهقي في الدعوات الكبير وقال : في اسناده ضعف . وهذه المسألة فيها قولان للعلماء - هما روايتان عن الامام أحمد - وهما : هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتتاب ، أم لا بد من إعلامه وتحليله ؟ والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه ، بل يكفي الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها . وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره . والذين قالوا لا بد من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية . والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه ، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها . وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ، ولعله يبيح عداوته ولا يصفو له أبداً ، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزّه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به . ومدار الشريعة على تعطيل المفسد وتقليلها ، لا على تحصيلها وتكميلها . والله تعالى أعلم .

(١) المصنف هنا يتناول جانباً واحداً من جوانب الغيبة الا وهو ذكر الأخ اخاه بما يكره في غيبته . . وهناك جانب آخر وهو ان تذكر أخاك بما يكره وهو حاضر يدل عليه قوله ﷺ « من قال للأعرج يا أعرج فقد اغتابه » . . وهذا الجانب لا بد من ان يسترضي الأخ أخاه لأنه ذكره بما يكره في حضوره والله أعلم .

الفصل السادس والستون

فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخصوف القمر

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال « إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا » وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال : بينا أنا أرمي بأسهم لي في حياة رسول الله ﷺ إذ كسفت الشمس ، فنبذتهن وقلت : لأنظرن ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس اليوم ، فانتهت إليه وهو رافع يديه يسبح ويحمد ويهلل ويدعو ، حتى حسر عن الشمس ، فقرأ بسورتين وركع ركعتين .

والنبي ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة والعताفة والمبادرة إلى ذكر الله تعالى والصدقة . فإن هذه الامور تدفع أسباب البلاء^(١) .

(١) الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، وكسوف الشمس وخصوف القمر . . . تذكير لكل مؤمن قرأ كتاب الله . . . إذ ان القيامة ترتبط علاماتها بالمظاهر الكونية حيث يتوقف القانون ، وتقلب الأوضاع قال تعالى « إذا الشمس كورت - وإذا النجوم انكدرت » . . . وقال « يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا . . . » ولهذا حث النبي ﷺ على الصدقة والبر . . . وهذا دأبه ﷺ من تعليم أمته . . . إذ يتحين الفرص ليرتفع بأفكارهم إلى الإيمان المطلق . . . والله أعلم .

الفصل السابع والستون

فيما يقول من ضاع له شيء ويدعوه

ذكر علي بن العيني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئاً : قل اللهم رب الضالة ، هادي الضالة ، تهدي من الضلالة ، رد عليّ ضالتي بقدرتك وسلطانك ، فإنها من عطائك وفضلك . وفي وجه آخر : سئل ابن عمر رضي الله عن الضالة فقال : يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يتشهد ثم يقول : اللهم رادّ الضالة ، هادي الضلالة ، تهدي من الضلال ، رد عليّ ضالتي بعزتك وسلطانك ، فإنها من فضلك وعطائك . قال البيهقي هذا موقوف ، وهو حسن . وقد قيل : ان من ضاع له شيء فقال : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه رد عليّ ضالتي . ردها الله تعالى عليه .

الفصل الثامن والستون

في عقد التسيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبدالله بن عمر قال :
رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسيح بيمينه . رواه أبو داود . وروت بسيرة إحدى
المهاجرات رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « عليكن بالتسيح
والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن
منسؤولات ومستنطقات » .

الفصل السابع والستون

في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن

ثبت في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . » وفي وجه آخر « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . »

وفي أثر آخر « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده . » وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس . »

الفصل السبعون

في الذكر المضاعف

في صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ، ثم رجع بعدما أضحى وهي جالسة ، فقال « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها »؟ قالت : نعم . فقال النبي ﷺ « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » . وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل » فقال « سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، سبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » . رواه أبو داود والترمذي قال : حديث حسن (١) .

(١) من الحديث انه يجوز عدا التسبيح على غير الأصابع كالمسبحة ونحوها .

الفصل الحادي والسبعون

فَمَا يُقَالُ لِمَنْ حَصَلَ لَهُ وَحْشَةٌ

روينا في معجم الطبراني عن البراء بن عازب أن رجلا اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال « قل : سبحان الله الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت » فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوحشة (١) .

(١) وذلك في كتاب الله عز وجل « .. الا بذكر الله تطمئن القلوب »

الفصل الثاني والسبعون

في الذكر الذي يقوله أويقال له إذا لبس ثوباً جديداً

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوباً سماه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامة يقول « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه (١) . أسألك من خيرهِ وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شرهِ وشر ما صنع له » (٢) قال أبو نضرة : وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوباً قال : تبلى ويخلف الله تعالى . ذكره البيهقي . وعن سهل بن معاذ ابن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « من لبس ثوباً فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه ومات آخر »

(١) في ذلك خروج من حول الانسان بقوته إلى حول الله وقوته ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي هيا الأسباب ..

(٢) خير ما صنع له : ستر العورة ، والخروج به إلى الصلاة .. ومقابلة الأصدقاء ، وشر ما صنع له : الاختيال والشهرة والتباهي .

الفصل الثالث والسبعون

فَمَا يُقَالُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْفَجْرِ

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال « سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائداً بالله من النار » يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته . هذا اسناد صحيح على شرط مسلم .

الفصل الرابع والسبعون

في التسليم للفضاء والقدر، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا
لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعلمون بصير ﴾^(١)
نهی سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين : لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه
بخلافه . وقال النبي ﷺ « وإياك واللو ، فإن اللو تفتح عمل الشيطان » . وقال
أبو هريرة : قال النبي ﷺ « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف ، وفي كل خير . أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن
أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما
شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم .

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين ، فقال المقضي عليه
لما أدبر : حسبنا الله ونعم الوكيل . فقال النبي ﷺ « إن الله يلوم على العجز ،
ولكن عليك بالكيس^(٢) ، فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل » فنهى
النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه ، وأمره أن يفعل من

(١) سورة النساء : ١٥٦ .

(٢) الكيس ضد العجز .. فالمؤمن يجب أن يكون كيساً لا عاجزاً .

الأسباب ما لا غنى له عنه ، فإن أعجزه القضاء قال : حسبي الله ، فإذا قال
حسبي الله بعد تعاطي ما أمره من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل
والقول ، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي
اقتضتها حكمة الله عز وجل ، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به .

الفصل الخامس والسبعون

في جوامع أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لاغنى للمرء عنها

قالت عائشة : كان النبي ﷺ يجب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك . وفي المسند والنسائي وغيرهما أن سعداً سمع ابنا له يقول : اللهم إني أسألك الجنة وغرفها لقد سألت الله خيراً كثيراً وتعوذت من شر كثير ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون قوم يعتدون في الدعاء » وبحسبك ان تقول : اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم . وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي عن ابن عباس قال : كان من دعاء النبي ﷺ « رب أعني ولا تعن عليّ ، وانصرني ولا تنصر عليّ ، وامكر لي ولا تمكر عليّ ، وانصرني على من بغى عليّ رب اجعلني لك شكاراً ، لك ذكاراً ، لك رهاباً ، لك مختبأ ، إليك أواها منيباً . رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي^(١) ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي ، واهد قلبي ، وسدد لساني ، واسلل سخيمة قلبي^(٢) » هذا حديث صحيح ورواه الترمذي وحسنه وصححه .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كنت أخدم النبي ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز

(١) اغسل حوبتي : الحوب الائم ..

(٢) اسلل سخيمة قلبي : السخمة السواد .. وسواد القلب حقه ..

والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدُّين^(١) وغلبة الرجال . وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول . كان يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، زكها أنت خير من زكاها ، إنك وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ونفس لا تشيع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم » . فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ قال « ان الرجل إذا غرم حدث فكذب ، ووعد فأخلف .

وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنهما قال : كان من دعاء النبي ﷺ « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، ومن فجاءة نقمتك^(٢) ، ومن جميع سخطك » .

وفي الترمذي عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر أسأل ؟ قال « قولي : اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني » قال الترمذي صحيح . وفي مسند الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال « عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار . وسلوا الله العفاة ، فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيراً من العفاة » وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « ما سئل الله عز وجل شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية » وذكر الفريابي في كتاب الذكر من

(١) ضلع الدين : بفتح الضاد واللام الثقيل .

(٢) فجاءة نقمتك : أي الانتقام الفجائي . . يأتي بغتة والعياذ بالله .

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أي الدعاء أفضل ؟ قال « تسأل الله العفو والعافية . فإذا أعصيت ذلك فقد أفلحت » . وفي الدعوات للبيهقي عن معاذ بن جبل قال : مر رسول الله ﷺ برجل يقول : اللهم إني أسألك الصبر ، قال « سألت الله البلاء ، فسل العافية » . ومر برجل يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة . فقال « وما تمام النعمة ؟ » قال : سألت وأنا أرجو الخير . قال له « تمام النعمة الفوز من النار ، ودخول الجنة » .

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم أن يقول « اللهم اهدي وارزقني وعافني وارحمني » . وفي المسند عن بسر بن أرطاة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » . وفي المسند وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ « أظفوا بياذا الجلال والاكرام » أي الزموها وداوموا عليها . وفي صحيح الحاكم أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لهم « أتحبون أيها الناس أن تتجهدوا في الدعاء ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله . قال « اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . وفي الترمذي وغيره أن النبي ﷺ أوصى معاذاً أن يقولها دبر كل صلاة

وفي صحيحه أيضاً عن أنس قال : كنا مع النبي ﷺ في حلقة ، ورجل قائم يصلي ، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم . فقال النبي ﷺ « لقد سألت الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » . وفي المسند وصحيح الحاكم أيضاً عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله « يا شداد ، إذا رأيت الناس يكتزون الذهب والفضة فاكثر هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد . وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك . وأسألك قلباً

سليماً ، ولساناً صادقاً . وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، انك أنت علام الغيوب .»

وفي الترمذي ان حصين بن المنذر الخزاعي رضي الله عنه قال له النبي ﷺ « كم تعبد إلهاً؟ » قال : سبعة : ستة في الارض ، وواحد في السماء . قال « فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟ » قال الذي في السماء . قال « أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك . » فلما أسلم قال : يا رسول الله ، علمني الكلمتين ، قال « قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي » حديث صحيح وزاد الحاكم فيه في صحيحه « اللهم قني شر نفسي ، واعزم لي على أرشد أمري . اللهم اغفر لي ما أسرت وما أعلنت ، وما أخطأت وما تعمدت ، ما علمت وما جهلت » واسناده على شرط الصحيحين .

وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت : دخل علي أبو بكر رضي الله عنهما فقال : هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه ؟ قلت : ما هو قال : كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه ، قال « لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه : « اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك . » وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة عن النبي ﷺ : هذا ما سأل محمد ربه « اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات وثبتي وثقل موازيني وحقق إيماني وارفع درجتي وتقبل الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين . اللهم إني أسألك خيراً ما أتى ، وخيراً ما فعل ، وخيراً ما بطن وخيراً ما ظهر . اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري وتصلح أمري وتطهر قلبي وتحصن فرجي وتنور لي قلبي وتغفر لي ذنبي . وأسألك أن تبارك لي في نفسي وفي سمعي وفي بصري وفي روحي وفي خلقي وأهلي ، وفي محيبي وفي مماتي ، وفي عملي ، وتقبل حسناتي . وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين . » وفي صحيحه أيضاً من حديث معاذ قال : أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركننا الشمس ، ثم خرج فصلى بنا

فخفف ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال « على مكانكم أخبركم ما بطأني عنكم اليوم : إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله ، ثم ملكتني عيني فنمت ، فرأيت ربي تبارك وتعالى فألهمني أن قلت : اللهم إني أسألك الطيبات ، وفعل الخيرات ، وترك المنكرات وحب المساكين ، وأن تتوب عليّ وتغفر لي وترحمي . وإذا أردت في خلقك فتنة فنجني إليك منها غير مفتون . اللهم وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني إلى حبك » ثم أقبل رسول الله ﷺ قال « تعلموهن وادرسوهن فإنه حق » ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة وغيرهم بالفاظ آخر .

وفي صحيح الحاكم أيضاً عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يدعو « اللهم متعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه واخلف علي كل غائبة لي بخير » . وفيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وارزقني علماً ينفعني » . وفيه أيضاً عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء « اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً » .

وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له « إني أريد أن أمنحك كلمات تسألن الرحمن وترغب إليه فيهن وتدعوهن في الليل والنهار : قل اللهم إني أسألك صحة في إيمان ، وإيمانا في حسن خلق ، ونجاحا يتبعه فلاح ، ورحمة منك وعافية ، ومغفرة منك ورضوانا » . وفيه أيضاً عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات « اللهم أنت الأول لا شيء قبلك ، وأنت الآخر لا شيء بعدك ، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك ، وأعوذ بك من الإثم والكسل ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة الغنى ومن فتنة الفقر ، وأعوذ بك من المأثم والمغرم . اللهم نَقِّ قلبي من الخطايا كما نقيت

الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم بعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب .»

وفي مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم أيضاً عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه صلى صلاة أوجز فيها ، فقبل له في ذلك قال : لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي . اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفذ ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين » وفي صحيح الحاكم أيضاً عن ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ « اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك . والسلامة من كل إثم والغنيمه من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار . » وفيه أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو « اللهم احفظني بالاسلام قائماً ، واحفظني بالاسلام قاعداً ، واحفظني بالاسلام راقداً ، ولا تشمت بي عدواً حاسداً . اللهم إني أسألك من خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من شر خزائنه بيدك .»

وعن النواس بن سمعان سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه » وكان رسول الله ﷺ يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، والميزان بيد الرحمن عز وجل يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة » حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في صحيحه . وفي صحيح الحاكم أيضاً عن ابن عمر أنه لم يكن يجلس مجلساً - كان عنده أحد أو لم يكن - إلا قال « اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني . اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك ، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك ، وارزقني من اليقين ما تهون به عليّ مصائب الدنيا ، وبارك لي في

سمعي وبصري ، واجعلهما الوارث مني . اللهم اجعل ثاري على من ظلمني .
وانصرني على من عاداني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي . اللهم لا
تسلط عليّ من لا يرحمني » . فسئل عنهن ابن عمر فقال : كان رسول الله ﷺ
يختتم بهن مجلسه .

* * *

والحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما
ينبغي لكرمه وجهه وعز جلاله ، ملء سمواته وملء أرضه وملء ما بينهما وملء ما
شاء من شيء بعد ، حمداً لا ينقطع ولا يبئد ولا يفنى ، عدد ما حمده الحامدون
وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم
أنبيائه ورسوله ، وخيرته من بريته ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ،
فاتح أبواب الهدى ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط
العزیز الحميد الذي بعثه للإيمان منادياً ، وإلى الصراط المستقيم هادياً ، وإلى
جنات النعيم داعياً ، وبكل المعروف آمراً ، وعن كل منكر ناهياً ، فأحيا به
القلوب بعد مماتها ، وأنارها بعد ظلماتها ، وألف بينها بعد شتاتها ، فدعا إلى الله
عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاهد في الله تعالى حق جهاده ،
حتى عبد الله وحده لا شريك له ، وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار ، وبلغ
دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار ، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع
خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه ، وسلم تسليماً .

تم الكتاب

والحمد لله أولاً وأخيراً

الفهرست

٥	التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية
٩	كلمة الناشر
١١	السعادة بثلاث: شكر النعمة، والصبر على البلاء، والتوبة من الذنب
١٥	استقامة القلب
٢٤	دلائل تعظيم الأمر والنهي
٤٠	أنواع القلوب
٤٣	خلوف فم الصائم
٤٩	الصدقة وآثارها
٥٦	ذكر الله وفوائده
٧٢	الذكر وحقيقة النور الإلهي
٩١	تكملة فوائد الذكر

فصل في الاذكار الموظفة
التي لا ينبغي للعبد أن يحل بها

١٢٧	الفصل الاول : في ذكر طرفي النهار
١٣١	الفصل الثاني : في اذكار النوم

- ١٣٥ الفصل الثالث : في اذكار الانتباه من النوم
- ١٣٦ الفصل الرابع : في اذكار الفزع في النوم والفكر
- ١٣٦ الفصل الخامس : في اذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها
- ١٣٨ الفصل السادس : في اذكار الخروج من المنزل
- ١٣٩ الفصل السابع : في اذكار دخول المنزل
- ١٤٠ الفصل الثامن : في اذكار دخول المسجد والخروج منه
- ١٤١ الفصل التاسع : في اذكار الأذان
- ١٤٣ الفصل العاشر : في اذكار الاستفتاح
- الفصل الحادي عشر : في ذكر الركوع والسجود
- ١٤٦ والفصل بينها وبين السجدين
- ١٤٩ الفصل الثاني عشر : في ادعية الصلاة بعد التشهد
- الفصل الثالث عشر : في الاذكار المشروعة بعد السلام
- ١٥١ وهو أدبار السجود
- ١٥٣ الفصل الرابع عشر : في ذكر التشهد
- ١٥٥ الفصل الخامس عشر : في ذكر الصلاة على النبي
- ١٥٧ الفصل السادس عشر : في الاستخارة
- ١٥٣ الفصل السابع عشر : في اذكار الكرب والغم والحزن والهم
- الفصل الثامن عشر : في الاذكار الجالبة للرزق الدافعة
- ١٦١ للضيق والأذى
- الفصل التاسع عشر : في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف
- ١٦٢ سلطانا وغيره
- ١٦٣ الفصل العشرون : في الاذكار التي تطرد الشيطان
- الفصل الحادي والعشرون : في الذكر الذي تحفظ به النعم
- ١٦٥ وما يقال عند تجردها
- ١٦٦ الفصل الثاني والعشرون : في الذكر عند المصيبة
- الفصل الثالث والعشرون : في الذكر الذي يدفع به الدين
- ١٦٧ ويرجى قضاؤه

الفصل الرابع والعشرون : في الذكر الذي يرقى به من اللسعة

- ١٦٨ واللدغة وغيرهما :
- ١٧٠ الفصل الخامس والعشرون : في ذكر دخول المقابر
- ١٧١ الفصل السادس والعشرون : في ذكر الاستسقاء
- ١٧٣ الفصل السابع والعشرون : في اذكار الريح إذا هاجت
- ١٧٤ الفصل الثامن والعشرون : في الذكر عند الرعد
- ١٧٥ الفصل التاسع والعشرون : في الذكر عند نزول الغيث
- الفصل الثلاثون : في الذكر والدعاء عند زيادة المطر
- ١٧٦ وكثرة المياه والخوف منها
- ١٧٧ الفصل الحادي والثلاثون : في الذكر عند رؤية الهلال :
- ١٧٨ الفصل الثاني والثلاثون : في الذكر للصائم وعند فطره
- ١٧٩ الفصل الثالث والثلاثون : في اذكار السفر
- ١٨١ الفصل الرابع والثلاثون : في ركوب الدابة والذكر عنده
- ١٨٣ الفصل الخامس والثلاثون : في ذكر الرجوع من السفر
- ١٨٤ الفصل السادس والثلاثون : في الذكر على الدابة إذا استصعبت
- ١٨٥ الفصل السابع والثلاثون : في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك
- الفصل الثامن والثلاثون : في الذكر عند القرية أو البلدة
- ١٨٦ إذا اراد دخولها
- ١٨٧ الفصل التاسع والثلاثون : في ذكر المنزل يريد نزوله
- ١٨٨ الفصل الاربعون : في ذكر الطعام والشراب
- ١٩٠ الفصل الحادي والاربعون : في ذكر الضيف إذا نزل بقوم
- ١٩١ الفصل الثاني والاربعون : في السلام
- ١٩٣ الفصل الثالث والاربعون : في الذكر عند العطاس
- الفصل الرابع والاربعون : في ذكر النكاح والتهنئة به ،
- ١٩٤ وذكر الدخول بالزوجة
- الفصل الخامس والاربعون : في الذكر عند الولادة
- ١٩٦ والذكر المتعلق بالولد

- ١٩٨ الفصل السادس والاربعون : في صياح الديكة والتهيق والنباح
- ١٩٩ الفصل السابع والاربعون : في الذكر يطفأ به الحريق
- ٢٠٠ الفصل الثامن والاربعون : في كفارة المجلس
- ٢٠١ الفصل التاسع والاربعون : فيما يقال ويفعل عند الغضب
- ٢٠٢ الفصل الخمسون : فيما يقال عند رؤية أهل البلاء
- ٢٠٣ الفصل الحادي والخمسون : في الذكر عند دخول السوق
- ٢٠٤ الفصل الثاني والخمسون : في الرجل إذا خدرت رجله
- ٢٠٥ الفصل الثالث والخمسون : في الدابة إذا عثرت
- الفصل الرابع والخمسون : في من أهدى هدية أو تصدق بصدقة
- ٢٠٦ فدعا له ، ماذا يقول
- ٢٠٧ الفصل الخامس والخمسون : فيمن أميط عنه أذى
- ٢٠٨ الفصل السادس والخمسون : في رؤية باكورة الثمرة
- الفصل السابع والخمسون : في الشيء يراه ويعجبه
- ٢٠٩ ويخاف عليه العين
- ٢١٠ الفصل الثاني والخمسون : في الفأل والطيرة
- ٢١٢ الفصل التاسع والخمسون : في الحمام
- ٢١٣ الفصل الستون : في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه
- ٢١٤ الفصل الحادي والستون : في الذكر عند إرادة الوضوء
- ٢١٥ الفصل الثاني والستون : في الذكر بعد الفراغ من الوضوء
- ٢١٦ الفصل الثالث والستون : في ذكر صلاة الجنائزة
- الفصل الرابع والستون : في الذكر إذا قال هجرا أو جرى
- ٢١٨ على لسانه ما يسخط ربه عز وجل
- ٢١٩ الفصل الخامس والستون : فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم
- ٢٢٠ الفصل السادس والستون : فيما يقال عند كسوف الشمس وكسوف القمر
- ٢٢١ الفصل السابع والستون : فيما يقول من ضاع له شيء ويدعوه
- الفصل الثامن والستون : في عقد التسبيح بالأصابع
- ٢٢٢ وأنه أفضل من السبحة

- ٢٢٣ الفصل التاسع والستون : في أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن
- ٢٢٤ الفصل السبعون : في الذكر المضاعف
- ٢٢٥ الفصل الحادي والسبعون : فيما يقال لمن حصل له وحشة
 الفصل الثاني والسبعون : في الذكر الذي يقوله أو يقال له
- ٢٢٦ إذا ليس ثوباً جديداً
- ٢٢٧ الفصل الثالث والسبعون : فيما يقال عند رؤية الفجر
 الفصل الرابع والسبعون : في التسليم للقضاء والقدر ، بعد بذل الجهد
- ٢٢٨ في تعاطي ما أمر به من الأسباب
 الفصل الخامس والسبعون : في جوامع من أدعية النبي ﷺ
- ٢٣٠ وتعوداته لا غنى للمرء عنها